

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

القسم : العلوم الاجتماعية



مذكرة ماستر

العلوم الاجتماعية

فلسفة

فلسفة عامة

رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب:

عفاف نفاق

يوم: 26/04/2018

منزلة الانسان عند غابريال مارسيل

لجنة المناقشة:

العضو 1	الرتبة	الجامعة	الصفة
العضو 2	الرتبة	الجامعة	الصفة
العضو 3	الرتبة	الجامعة	الصفة

السنة الجامعية : 2024 2025



شكر وعرفان

بداية نحمد الله عز وجل على عطائه وتوفيقه
لاتمامي هذا العمل البسيط
نتقدم بخالص الشكر والتقدير الى من شرفنا
باشرافه على هذا البحث استاذنا عقيبى لزهر الذي
كان لنا عوناً بنصائحه وتوجيهاته السديدة التي
بفضل الله تم فضله اكتمل انجاز المذكرة
والشكر موصول أيضاً لكل اساتذة كلية العلوم
الاجتماعية والانسانية لجامعة بسكرة دون
استثناء على كل حرف أو كلمة علم قدموها لنا





إهداء

الحمد لله والشكر لله اهدي ثمرة مجهود خمس سنوات من الجد والعمل
والإجتهاد إلى نفسي أولا وافتخر بكفاحي رغم كل العوائق والصعوبات إلا انني
بفضل الله ركضت ومشيت وحتى زحفت من أجل الوصول إلى لحضة التتويج
بالدجة العلمية ماستر في الفلسفة ولا يزال الطموح متواصل للدراسات العليا
ياذن الله

اهدي هذا العمل المتواضع إلى عائلتي الكبيرة وأتقدم لهم بالشكر والامتنان لأنهم
كانوا خير عون وخير سند بعد الله عز وجل
إلى امي قرة عيني أسأل الله أن يحفظها من كل مكروه ويرزقها تاج الصحة
والعافية ويديمها تاج فوق رؤوسنا ومن زين إسمي بأجمل الألقاب ويدعمني بلا
حدود وأعطاني بلا مقابل قدوتي وفخري والدي العزيز

إلى من شددت عضدي بهم فكانوا ينابيع ارتوي منها إلى قرة عيني..... اخوتي
لكل من كان سندا في هذا الطريق.... صديقاتي خاصة صديقتي عبير إلى من تمنوا
رؤيتي في هذا المكان
إليكم عائلتي

ها انا اليوم أكملت واتممت مسيرتي بفضلته تعالى قلت أنا لها أبت رغما عنها أتيت
بها فالحمد لله شكرا وحبا وإمتنانا على البدء والختمام وآخر دعواهم ان الحمد لله
لله رب العالمين



فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
	شكر وعرفان
	اهداء
أ-هـ	مقدمة
	الفصل الأول: الخلفية الفلسفية والفكرية عند غابرييل مارسيل
7	تمهيد
7	المبحث الأول: الفلسفة الوجودية
8	1-المطلب الأول: تعريف الفلسفة الوجودية ونشأتها
17	2-المطلب الثاني: المبادئ الأساسية للفلسفة الوجودية
22	3-المطلب الثالث: أبرز فلاسفة الوجودية وافكارهم
27	المبحث الثاني: التعريف بغبريال مارسيل
28	1-المطلب الأول: تعريفه وحياته ومؤلفاته
31	2-المطلب الثاني: مصادر فلسفته
33	3-المطلب الثالث: مميزات فلسفته
49	خلاصة الفصل
	الفصل الثاني: مفهوم فلسفة الوجود عند غابرييل مارسيل
52	تمهيد
52	المبحث الاول: الوجود الإنساني بين الصراع الداخلي والعلاقة بالآخر
53	المطلب الاول: الوجود الإنساني بين التوتر الداخلي والانفتاح على الآخر في فلسفة مارسيل
56	المطلب الثاني: الوجود بين الكائن الفردي والوجود الجماعي
58	المطلب الثالث: سمات الوجود الفردي وفكرة السر عند مارسيل

60	المبحث الثاني: الوجود العملي الإنساني عند غابريال مارسيل
60	المطلب الأول: العمل كترجمة للوجود الأصيل عند غابريال مارسيل
61	المطلب الثاني: الالتزام والمسؤولية كجوهر للوجود العملي
	المطلب الثالث: الأمل و العلاقة مع الآخر كأفق للوجود العملي
66	خلاصة الفصل
	الفصل الثالث: فلسفة الوجود والعلو في تشكيل الكينونة الإنسانية عند غابريال مارسيل
70	تمهيد
71	المبحث الأول: ابعاد العلو في بناء الانسان
71	المطلب الاول: العلو الانساني
72	المطلب الثاني: العلو الاخلاقي
74	المطلب الثالث: العلو الديني
76	المبحث الثاني: المآلات والمآخذ في فلسفة الوجود الإنساني عند غابريال مارسيل
77	المطلب الأول: تطور فلسفة الوجود عنده
79	المطلب الثاني: مآلات الفكر الوجودي
81	المطلب الثالث: المآخذ الموجهة لفلسفة مارسيل الوجودية
82	خلاصة الفصل
82	خاتمة
89	قائمة المصادر والمراجع
94	الملخص

مقدمة

مقدمة

تُعَدُّ الفلسفة الوجودية واحدة من أبرز التيارات الفلسفية التي عرفها الفكر الغربي في العصر الحديث، حيث برزت كرد فعل قوي على النزعة العقلانية المفرطة التي سادت الفلسفة التقليدية، وعلى الطابع التشيئي الذي بدأت تفرضه الحداثة التقنية والعلمية على الإنسان. لقد وُلدت الوجودية من رحم الأزمة، إذ ارتبط ظهورها بسياقات تاريخية حرجة، من أبرزها الحربان العالميتان الأولى والثانية، وما خلفتهما من صدمة وجودية وفقدان المعنى لدى الإنسان المعاصر.

تُرَكِّز الفلسفة الوجودية على الإنسان بوصفه كائنًا حُرًّا ومسؤولًا عن اختياراته ومصيره، وهو ما جعلها تُعيد الاعتبار لمفاهيم مثل القلق، الحرية، الألم، والموت، كأبعاد أساسية تُشكِّل نسيج التجربة البشرية. ومع أن أبرز رموز الوجودية كـ جان بول سارتر وألبير كامو قد اتخذوا موقفًا ملحدًا من الوجود، فإن هناك تيارًا مغايرًا في صلب الفلسفة الوجودية، يُمثِّله غابرييل مارسيل، هذا الفيلسوف الفرنسي الذي سعى إلى بناء وجودية مؤمنة، تُعيد إدراج البعد الروحي والميتافيزيقي في فهم الوجود الإنساني.

لقد انطلق غابرييل مارسيل من التجربة المعاشة، لكنه رفض أن يختزل الإنسان في كونه كائنًا ماديًّا أو كيانًا عديم المعنى، بل أكَّد على أن الإنسان هو كائن منفتح على الآخر، وعلى المطلق، وعلى الله. إن فلسفته ليست تأملًا مجردًا في الكينونة، بل دعوة إلى أن نحيا وجودنا بكل كثافته وتعقيده وغموضه، وأن نفتح على الآخر لا من خلال الامتلاك أو التشييء، بل من خلال الحضور، الحوار، الثقة، والحب.

لقد جاءت فلسفة مارسيل لترتقي بالفعل الإنساني من مستوى الأدوات إلى مستوى الوجود الأصيل، فميز بين "المشكلة" التي تُحلَّ عقلانيًّا، و"الغموض" الذي لا يُمكن الإحاطة به من الخارج، بل يُعاش من الداخل. وبهذا، يُقدِّم مارسيل فلسفة تلامس جراح الإنسان المعاصر، وتستدعي فيه أبعادًا منسية كالأمل، الوفاء، الحميمية، والإيمان.

إن أهمية العودة إلى فلسفة مارسيل اليوم لا تكمن فقط في قيمتها التاريخية أو النسقية، بل في قدرتها على إضاءة ظواهر إنسانية يعاني منها الفرد المعاصر: الوحدة، الانفصال،

التشبيء، وانعدام الثقة، مقابل ما تدعو إليه فلسفة مارسيل من بناء وجود مشترك قائم على الاعتراف المتبادل والعلاقة الأصيلة. وعليه، فإن هذه الدراسة تحاول أن تسبر أغوار التصور الوجودي عند غابرييل مارسيل، وتسعى إلى الكشف عن الكيفية التي جعل بها مفاهيم مثل الأمل والعلاقة مع الآخر ليست فقط مفاتيح لفهم الوجود، بل أفقًا للوجود العملي ذاته، في عالم يشهد أزمة في المعنى والعلاقة.

1. أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في عدة نقاط:

- تسليط الضوء على الفلسفة الوجودية من زاوية فكرية وروحية، بعيدة عن النزعات العدمية أو الإلحادية التي وُسم بها بعض فلاسفة الوجودية مثل سارتر ونييتشه.
- إبراز إسهامات غابرييل مارسيل في إعادة تعريف الإنسان وعلاقته بالوجود والآخر، من خلال مفاهيم أصيلة مثل "الوجود الغامر"، و"السر"، و"الأمل"، و"العلو".
- الإسهام في إثراء المكتبة الفلسفية العربية بدراسة تحليلية حول فيلسوف لم يحظ بالكثير من المعالجة في الفكر العربي رغم عمق رؤيته وأصالته.
- فتح أفق لفهم الوجود الإنساني المعاصر من منظور يتجاوز الطابع الأداتي والاختزالي نحو أفق قيمي روحي يدمج بين الفلسفة والحياة.

2. دوافع اختيار الموضوع:

تعود أسباب اختيار هذا الموضوع إلى دوافع ذاتية وأخرى موضوعية:

أسباب ذاتية:

- رغبتني في التعمق في الفلسفة الوجودية كأحد أبرز التيارات الفكرية الحديثة.
- اهتمام خاص بفكر غابرييل مارسيل ومحاولة فهم تجربته الإنسانية والفكرية في ظل عالم معاصر يتسم بالاغتراب وفقدان المعنى.
- الميل الشخصي إلى معالجة موضوعات ذات بعد وجودي وأخلاقي وروحي.

أسباب موضوعية:

- أهمية موضوع الوجود الإنساني في الفكر الفلسفي عمومًا والوجودي خصوصًا، بوصفه مدار تفكير مارسيل وفلاسفة هذا الاتجاه.
- ندرة الدراسات التي عالجت فلسفة مارسيل بالعربية، ما يمنح هذا البحث طابعًا إضافيًا من الأهمية الأكاديمية.
- راهنية الإشكالات التي عالجها مارسيل، مثل العلاقة بالآخر، مسؤولية الإنسان، معنى الحياة، والأمل.

3. إشكالية الدراسة

- تتمحور الإشكالية الأساسية للدراسة حول السؤال التالي:
- كيف يُمكن فهم الوجود الإنساني في فلسفة غابرييل مارسيل، في ضوء التوتر بين الذات والآخر، وبين الروح والمادة، وبين القلق والأمل؟
- وللإجابة على هذه الإشكالية المركزية، تفرعت عنها الأسئلة الآتية:
- ما المقصود بالفلسفة الوجودية؟ وما هي مبادئها وأبرز ممثليها؟
 - ما هي الخصائص الفكرية لفلسفة غابرييل مارسيل؟ وكيف تميزت عن غيرها من الفلسفات الوجودية؟
 - كيف عالج مارسيل مفهوم الوجود الإنساني؟ وما دور الأمل، والحب، والعلاقة بالآخر في تشكيل هذا الوجود؟
 - ما المقصود بالعلو في فلسفة مارسيل؟ وما أبعاده الإنسانية والأخلاقية والدينية؟
 - ما هي الانتقادات التي وُجّهت لفكر مارسيل؟

4. المنهج المعتمد:

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التحليلي التأويلي، من خلال تحليل نصوص غابرييل مارسيل الفلسفية وتأويل مفاهيمها ضمن سياقها الوجودي والروحي. كما تم توظيف المنهج التاريخي لمتابعة السياقات الفكرية والاجتماعية التي نشأت فيها الفلسفة الوجودية وفكر مارسيل تحديدًا. إضافة إلى ذلك، تم استخدام المنهج المقارن عند الحاجة إلى إبراز تمايز مارسيل عن باقي فلاسفة الوجودية، خاصة أولئك ذوي التوجه الإلحادي كسارتر وهايدغر.

وتوزعت الدراسة على ثلاثة فصول رئيسية، تسبقها مقدمة وتمهيد، وتختتم بخاتمة جامعة لأهم النتائج:

الفصل الأول: الخلفية الفلسفية والفكرية عند غابرييل مارسيل

المبحث الأول: الفلسفة الوجودية (تعريفها، نشأتها، مبادئها، أبرز ممثليها)

المبحث الثاني: التعريف بغابرييل مارسيل (سيرته، مصادر فلسفته، خصائصها)

الفصل الثاني: مفهوم الوجود في فلسفة مارسيل

المبحث الأول: الوجود الإنساني بين الصراع الداخلي والعلاقة بالآخر

المبحث الثاني: الوجود العملي الإنساني عند مارسيل (العمل، الالتزام، الأمل)

الفصل الثالث: فلسفة الوجود والعلو في تشكيل الكينونة الإنسانية عند مارسيل

المبحث الأول: أبعاد العلو (الإنساني، الأخلاقي، الديني)

المبحث الثاني: مآلات الفكر الوجودي ومآخذ فلسفة مارسيل

5. صعوبات الدراسة

واجهت الدراسة مجموعة من التحديات تمثلت في:

➤ قلة الدراسات والمراجع العربية حول غابرييل مارسيل.

➤ صعوبة الترجمة الدقيقة لبعض المفاهيم والمصطلحات الوجودية ذات الطابع الروحي

والتأويلي.

➤ تعقيد البنية المفاهيمية لفكر مارسيل، والتي تمزج بين التجربة الشخصية والتأمل

الفلسفي.

الفصل الأول:

الخلفية الفلسفية والفكرية عند غابرييل مارسى

تمهيد

تُعَدُّ الفلسفة الوجودية من أبرز التيارات الفكرية التي ظهرت في أوروبا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، وقد مثَّلت ردَّ فعل قويًا تجاه الفلسفات العقلانية والمثالية التي هيمنت على الفكر الغربي، لا سيما تلك التي قلَّلت من شأن الفرد وطمست التجربة الإنسانية المعاشة في سبيل مفاهيم كلية ومجردة. وقد جاءت الوجودية لتضع الإنسان، بوعيه وحرّيته وقلقه، في قلب التساؤل الفلسفي، مؤكدة على أنّ الوجود الإنساني يسبق الماهية، وأن الإنسان مشروع مفتوح يتحدد من خلال اختياراته وأفعاله في هذا العالم. كما شددت على مفاهيم كالحرية، والمسؤولية، والقلق، والمعاناة، وقد انقسمت الوجودية إلى تيارين رئيسيين: تيار وجودي إلهادي تمثله شخصيات مثل جان بول سارتر وألبير كامو، وتيار وجودي مؤمن أو ديني يمثله فيلسوفنا غابريال مارسيل، الذي حاول إعادة الاعتبار إلى البعد الروحي للوجود الإنساني من خلال التركيز على مفاهيم مثل الأمل، والإخلاص، والوفاء، والغموض، والغيرية، والوجود مع الآخر، مميّزًا بين "الفكر المجرد" و"الفكر المتجسد في التجربة الحية". وفي هذا الفصل، سنحاول الوقوف على الخلفية الفلسفية والفكرية التي شكلت الأساس الذي انطلقت منه فلسفة غابريال مارسيل ومن خلال التعرض لماهية الوجودية في المبحث الأول والخلفية الفلسفية لغابرييل مارسيل في المبحث الثاني.

المبحث الأول: الفلسفة الوجودية

في خضم التحولات العميقة التي شهدتها الفكر الغربي الحديث، برزت الفلسفة الوجودية كصرخة احتجاج ضد الفلسفات العقلانية والمثالية التي أغفلت البعد الفردي للإنسان، وأهملت قلقه، وحرية، وتجاربه الحية. لم تكن الوجودية مجرد بناء نظري بارد، بل جاءت استجابة لحالة الاغتراب، والفراغ الروحي، والقلق الوجودي الذي هيمن على الإنسان في العصر الحديث، لتضعه في صلب الاهتمام، لا بوصفه فكرة أو ماهية، بل ككائن حرّ، مسؤول، وصانع لمعنى وجوده وفي هذا المبحث سنتعرف على ماهية الفلسفة الوجودية والعوامل التي أدت إلى نشأتها كما سنستعرض أهم روادها والمبادئ التي تقوم عليها.

المطلب الأول: تعريف الفلسفة الوجودية ونشأتها

الوجودية هي مذهب فلسفي يتمحور حول مقارنة خاصة للوجود، إذ تنطلق من مرتكز جوهري مفاده أن وجود الإنسان لا يُمنح له سلفاً، بل يتحدد من خلال أفعاله واختياراته. فالإنسان ليس كائنًا مكتمل الماهية قبل أن يحيا تجربته الوجودية، بل هو مشروع في طور التحقق، تتبلور حقيقته في صيرورة مستمرة عبر ما يفعله ويقرره وتأتي هذه الرؤية في تعارض جوهري مع التيارات الماهوية التي تجعل من "الماهية" سابقة على "الوجود". من هذا المنظور، فإن الفلسفة الوجودية تنزع بوضوح إلى التركيز على الكينونة الحية، المتوترة، والمفتوحة، ولذلك ينصب اهتمامها الأساس على مساءلة معنى الوجود ذاته وتبعاً لهذا التصور، نجد أن مفهوم "الوجود" قد خضع عبر التاريخ الفلسفي لعدة مقاربات وتأويلات متباينة، في هذا المطلب سنذكر أهم تعاريف الوجودية ونشأتها.

أولاً: تعريف الوجودية

1. تعريف الوجود

في اللغات الأوروبية، يُشتق لفظ "الوجود" من الأصل اللاتيني *ex-sistere*، وهو مركب من مقطعين يحمل كل منهما دلالة مفهومية دقيقة:¹ المقطع الأول *ex*: ويعني "الخروج" أو "الانبثاق". المقطع الثاني *sistere*: ويعني "الثبات" أو "الاستقرار" في العالم.

¹ محمد سعيد العشماوي: تاريخ الوجودية في الفكر البشري، دار القومية للطباعة والنشر، د ط، ص 12

وبناءً على هذا الاشتقاق، فإن الوجود في التصور اللغوي الأوروبي لا يعني مجرد الحضور الساكن، بل يفيد الخروج من حالة الكمون أو الخفاء إلى حالة التجلي في العالم، أي الظهور بوصفه فعلاً حيويًا، فالوجود هو أن يكون الشيء خارج ذاته، في تفاعل مستمر مع المحيط، في وضعية انكشاف وتحقق.

وقد انتقلت هذه الدلالة اللغوية والفكرية من اللاتينية إلى معظم اللغات الأوروبية، محافظةً على شحنتها الدلالية الأصلية:

في الإنجليزية: existence / في الفرنسية: existence / في الألمانية: Existenz وتحمل هذه المصطلحات جميعاً المعنى الفلسفي للوجود بوصفه انكشافاً ديناميكياً للذات في عالم مشترك، وهو المعنى الذي يشكل لاحقاً أحد أركان الفلسفة الوجودية، خاصة في صيغتها التي بلورها مفكرون أمثال غابرييل مارسيل، جان بول سارتر، وكارل ياسبرز.

في اللغة العربية، يحمل لفظ "الوجود" دلالة أصيلة تفيد معنى الحضور، إذ يُقال: فلان موجود، أي حاضر، والمقابل النقيض لهذا اللفظ هو الغياب. فالحضور والغياب يُشكّلان ثنائية مفهومية أساسية، بها يتم التمييز بين ما هو ظاهر وما هو معدوم أو غير مشهود.¹

ومع تطور الفكر واللغة، انتقل لفظ الوجود من دلالاته المباشرة (الحضور المادي أو العياني) إلى معنى أكثر شمولاً وكونية، فأصبح يدل على الكون أو العالم بأسره. وصار الوجود مفهوماً رمزياً يُشير إلى كل ما هو كائن في هذا العالم، على اعتبار أن الكون نفسه لا يمكن تصوّره إلا في إطار الحضور والمثول، أي ككلّ شامل لا يغيب.

ومع مرور الزمن وتطور المفاهيم الفلسفية، نُقل هذا اللفظ من دلالاته الكونية إلى مستوى الفرد الإنساني، فأصبح يُستخدم للدلالة على الإنسان نفسه لا بوصفه مجرد جزء من العالم، بل باعتباره رمزاً للكون ومعبراً عن حضوره.

كما أن مفهوم الحضور أي المثول وعدم الغياب ينصرف في بادئ الأمر إلى الإنسان بوصفه ذاتاً واعية، تتحقق من خلال وجودها الذاتي والمُدرك. ولهذا يُقال عن الفرد إنه "موجود" حين يكون حاضراً فعلياً ومشاركاً في سيرورة الحياة والكون، أي إنه فاعل في الوجود لا مجرد كائن ضمنه.

¹ محمد سعيد العشماوي، المرجع نفسه ص 12

ويُظهر هذا التحول في دلالة لفظ "الوجود" تطوراً دلاليّاً وفلسفياً يعكس تعقّد العلاقة بين الإنسان والعالم، وهي العلاقة التي ستكون محورية في الفكر الوجودي المعاصر، لاسيما عند فلاسفة من أمثال غابرييل مارسيل، الذين أكدوا أن الوجود لا يُدرك من الخارج، بل يُعاش من الداخل، عبر تجربة الفرد وانخراطه الحرّ مع الآخر والعالم.¹

وهكذا، تطوّر لفظ "الوجود" في اللغة العربية ليحمل دلالتين متكاملتين ومتربطتين: فمن ناحية أولى، يدل على الكون بما هو مجموع الكائنات والعوالم الظاهرة والخفية، أي على كل ما هو حاضر وماثل في تجربة الإنسان إدراكاً أو إحساساً أو تصوراً، وهو بهذا المعنى ينفّث على البعد الكوني الشامل الذي يشمل العالم الخارجي بأسره. ومن ناحية ثانية، أصبح اللفظ تعبيراً عن عالم الفرد الخاص، أي عن الوجود الذاتي بما يحمله من وعي، شعور، قلق، تساؤل، وحرية وهكذا، فإن حضور الإنسان لا يُفهم فقط بوصفه فرداً ضمن الموجودات، بل كذات واعية للوجود ومشاركة فيه، بحيث لا يُفهم الوجود إلا من خلال معاشته الذاتية له.

الفلسفة الوجودية كما يُعرفها المعجم الفلسفي لجميل صليبا تقوم على مبدأ أساسي مفاده أن "الوجود هو مقابل العدم"، وهو كما يُشير صليبا "وجود بديهي لا يحتاج إلى تعريف، إلا من حيث كونه مدلولاً للفظ دون آخر" وهذا يعني أن الفلسفة الوجودية لا تهدف إلى تعريف الوجود تعريفاً تقليدياً، بل تركز على دلالاته الوجودية بوصفه حضوراً فعلياً لا يمكن إنكاره، وهو ما يجعلها تنصبّ على فهم الوجود الإنساني بوصفه وجوداً فردياً، لا يُختزل في تصورات عامة أو ماهوية.²

أما في المعجم الفلسفي الفرنسي، فتُعرّف الوجودية بأنها تيار فلسفي يعارض الماهوية (l'essentialisme)، ويُعتبر الفيلسوف الدنماركي سورين كيركغور (Søren Kierkegaard) المؤسس الحقيقي لهذا التيار.²

لقد ظهرت الفلسفة الوجودية كردّ فعل على التصورات الفلسفية التقليدية التي كانت تنظر إلى الإنسان من منظور مجرد، لا يأخذ بعين الاعتبار خصوصيته الوجودية وتقديره، فجاءت

¹ محمد سعيد العشماوي، مرجع سابق، ص 13

² جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني، دط، بيروت، لبنان، 1982م، ص 565.

الوجودية لتؤكد على معنى الوجود الإنساني بوصفه مشروعاً حراً ومسؤولاً عن اختياراته وتكوينه لذاته.¹

2. تعريف الوجودية

تُعد الوجودية (Existentialisme) تياراً فلسفياً معاصراً يتمحور حول إبراز قيمة الوجود الفردي للإنسان بوصفه جوهرًا سابقاً لأي تعريف ماهوي أو تصنيف خارجي. ففي معناها العام، تقوم الوجودية على مركزية الذات البشرية، وعلى الاعتراف بجوهرية التجربة الفردية بوصفها المصدر الأصيل للمعنى. ويُعدّ هذا التوجه الفلسفي امتداداً لتأملات سورين كيرغارد، وكارل ياسبرز، ومارتن هايدغر، الذين أسسوا لقاعدة أن الإنسان ليس كائناً تُعطى له صفات سابقة على وجوده، بل هو كائن يحقق ذاته من خلال أفعاله وقراراته.²

أما في معناها الخاص، فقد بلغت الوجودية ذروتها الفلسفية على يد جان بول سارتر، لا سيما في مؤلفه المحوري الوجود والعدم (L'Être et le Néant)، حيث وضع الأسس النظرية لمذهبه الوجودي الذي نُشر على نطاق واسع ليس فقط من خلال كتاباته النظرية، بل أيضاً عبر إنتاجه الأدبي من مسرحيات وروايات. وتتمثل خلاصة المذهب الوجودي السارتر في المقولة المركزية: "الوجود سابق على الماهية" (l'existence précède l'essence)، أي أن الإنسان يوجد أولاً، ثم يقوم بتعريف ذاته من خلال أفعاله وخياراته الحرة، دون أن يكون محكوماً بأي طبيعة أو جوهر سابق.³

لقد مثّل الإنسان في التصور الوجودي المحور الأساس للتفلسف، حيث لا يُنظر إليه ككائن خاضع لقوانين مسبقة أو جوهرية ثابتة، بل يُفهم بوصفه مشروعاً مفتوحاً على الإمكانيات، يتحدد من خلال ما يختاره ويصنعه بنفسه. وفي هذا الإطار، يُعتبر كيرغارد المؤسس الأول لهذا التوجه، حيث أرسى الأساس لتناول الوجود الإنساني من منطلق القلق، والحرية، والمسؤولية، رافضاً كل أشكال التجريد أو التصورات الفلسفية التي تنفي خصوصية التجربة الذاتية.⁴

¹ francais Robert Impression Bussere , France, 1990,p43

² جمال الدين سعيد، معجم الشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، د.ط، 2004، تونس، ص484

³ جمال الدين سعيد، مرجع سابق ص485

⁴ عبد الرحمان بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د ط، بيروت، دس، ص20.

الفلسفة الوجودية تعد من أقدم المدارس الفكرية الفلسفية، حيث تتميز بمحوريتها حول الحياة والوجود الحي وليس مجرد تأمل نظري مجرد. فهي ليست مجرد تأمل في ماهية الوجود من الخارج، بل هي تجربة حياة يعيشها الفرد في تفاعله اليومي مع واقع العالم وصراعاته المستمرة معه. تتجلى الوجودية كنزعة إنسانية تركز على قيمة الإنسان وارتقائه، إذ تؤكد على أن الوجود يسبق الماهية؛ بمعنى أن الإنسان يولد أولاً ككائن موجود، ثم تتشكل ماهيته بناءً على خياراته الحرة ومسارات حياته التي يقررها بنفسه. الإنسان في هذا الإطار ليس مسلوب الإرادة أو محدد سلفاً، بل هو حر في اختيار أفعاله وقراراته، وهو بذلك المسؤول الأول عن تحقيق ذاته وصياغة مصيره وفقاً لطموحاته وأهدافه. ومن هنا، فإن الوجودية فلسفة تفاؤلية، إذ تضع الإنسان في مواجهة حرة مع ذاته، تمنحه القدرة على الاختيار والمبادرة، ليصبح الإنسان في جوهره ما يصنعه بنفسه، فهو ذاته التي تتحقق عبر اختياراته وأفعاله الذاتية.¹

تُعتبر الفلسفة الوجودية بشكل عام ثورة نظرية في مجال المعرفة، وامتداداً لرد فعل حاد وقوي على الفلسفات العقلانية التي منحت للعقل دوراً مركزياً ومطلقاً في فهم الوجود. فقد كان ديكارت يرى في مقولته الشهيرة: "أنا أفكر، إذن أنا موجود"، تأكيداً على أن العقل هو الوسيلة الأساسية والأمثل لمعرفة الوجود والحقيقة.²

على النقيض من ذلك، جاء رد كيركجارد ليقول: "كلما ازددت تفكيراً، قلّ وجودي" أو "أنا أفكر، فأنا لست موجوداً"، في دلالة واضحة على أن إدراك الإنسان لوجوده لا يتحقق من خلال التفكير المنظم والعقلاني فحسب، بل ينبع من تجربته الحية التلقائية والمعاشة في الحياة الواقعية. فالعقلانيون يطرحون العقل باعتباره جوهرًا يمثل كل البشر بشكل مجرد، أما الوجوديون فيؤكدون أن الإنسان، بصفته كائنًا بشريًا حقيقيًا، هو تجربة معاشة شاملة تشمل المواقف الواقعية التي يمر بها مع الحياة والناس، وليس مجرد عقل أو ذات أو شعور منفصل.³

تتجلى أهمية الوجودية إذن في تركيزها على الإنسان كموجود حي، متفاعل مع واقعه، ومتجدد في ممارساته اليومية. وعلى هذا الأساس، تعد الفلسفة الوجودية من بين أقدم المذاهب الفلسفية،

¹ جان بول سارتر، الوجودية مذهب إنساني، ترجمة: عبد المنعم الحنفي، الدار المصرية للطبع والنشر والتوزيع، ط1964

1، ص 8

² يحي هويدي، قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، (د ط)، القاهرة، 1993، ص 122

³ عبد الرحمان بدوي، مرجع سابق، ص 19.

لكنها في الوقت نفسه من أحدثها من حيث تأثيرها وجوهرها في الفكر المعاصر، إذ أصبحت تحتل مركز الصدارة والسيادة في ميدان الفلسفة الحديثة.

تشكل الوجودية تيارًا فلسفيًا يعلي من قيمة الإنسان، ويؤكد على تفرد، بوصفه صاحب تفكير حر واختيار وإرادة مستقلة، لا يخضع لسلطة موجه خارجي. وهي بذلك ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالنزعة الإنسانية، إذ تهتم باكتشاف الحياة الداخلية الخاصة بالإنسان، وتنطلق في نشاطها الفكري من الذات الإنسانية ذاتها ويمكن تصنيف الوجودية إلى نوعين رئيسيين:¹

الوجودية المؤمنة التي ينتمي إليها فلاسفة مثل ياسبرز، مارسيل، وكيركجارد، الذين يؤمنون بوجود بعد روحي أو وجود إلهي، ويركزون على بعد الإيمان في تجربة الإنسان الوجودية. الوجودية الملحدة التي تمثلها أفكار هيدغر وسارتر، واللذين ينفون وجود الله أو البعد الروحي، ويركزون على الحرية الفردية المطلقة والمسؤولية في عالم بلا معنى مسبق.

في محاضرة ألقاها سارتر عام 1946 بعنوان "الوجودية فلسفة إنسانية"، قدّم جان بول سارتر تعريفًا موجزًا للوجودية، حيث وصفها بأنها محاولة لاستخلاص جميع النتائج المترتبة على الإلحاد الشامل. ويتضح من هذا التعريف أن الوجودية، خاصة في نسختها الملحدة التي يُمثلها سارتر، تؤكد على حرية الإنسان المطلقة في تحديد مصيره، حيث يكون هو وحده المسؤول عن أفعاله واختياراته، دون أن يكون هناك سلطة أو قوى خارجية تتحكم به.²

ومع ذلك، يرى بعض الباحثين أن تعريف الوجودية يمكن أن يتم بالسلب، فهي ليست فلسفة مهيكلية بنظام شامل وإنما رد فعل فلسفي بدأ بتأملات كيركغارد الدينية وثورته على هيجل. إذ عارض كيركغارد إمكانية إقامة مذهب فلسفي شامل يفسر الوجود بمعناه الكلي، لأن الوجود في حقيقته، حسب رأيه، ليس مفهومًا كليًا مجردًا من الذات الفردية، بل هو خاص بكل فرد على حدة.³

ثانياً: نشأة الوجودية

¹ يحي هويدي، مرجع سابق، ص 122

² إسماعيل مهداوي ومجموعة من المؤلفين، سارتر مفكرًا وإنسانًا، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، دس، القاهرة، ص42

³ إسماعيل مهداوي ومجموعة من المؤلفين، سارتر مفكرًا وإنسانًا، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، دس، القاهرة،

بعد الوقوف على طبيعة الفلسفة الوجودية وتحديد أبعادها المفاهيمية، يتضح أنها فلسفة تتمحور حول الكائن الإنساني بوصفه ذاتاً فاعلة حرة، تُسبق وجوده ماهيته، ويُفهم من خلال مواقفه الفردية الحرة في العالم.

إن هذه الخصوصية الفلسفية التي تميّزت بها الوجودية لم تتبلور من فراغ، بل جاءت نتيجة تفاعل معقد بين جملة من العوامل والظروف التاريخية والاجتماعية والثقافية والفكرية التي مهّدت لظهورها، وساهمت في تبلور أطروحاتها المركزية.

1. تأثير الحربين العالميتين والأزمات الاجتماعية في أوروبا

تشكّل السياق التاريخي الأوروبي في النصف الأول من القرن العشرين بيئة خصبة لنشأة وتطوّر الفكر الوجودي، إذ مثّلت الحربان العالميتان الأولى (1914-1918) والثانية (1939-1945) أهم الخلفيات التي دفعت المفكرين والفلاسفة إلى إعادة النظر في موقع الإنسان وقيمة وجوده، فقد أسفرت هاتان الحربان عن دمار واسع النطاق، وخسائر بشرية مهولة، وخراب اقتصادي، وانهيار أنظمة اجتماعية، وتفكك في البنية الأسرية، مما خلف حالة عامة من الإحباط واليأس، وفرض شعوراً وجودياً عميقاً بالضيق والقلق واللاجدوى ولقد ساهم هذا المناخ النفسي والاجتماعي المشحون بالتوتر والخوف والضيق في توجيه انتباه العديد من المفكرين نحو الإنسان ككائن مأزوم، يبحث عن ذاته في عالم متغيّر، غير مستقر، ومنفصل عن القيم التقليدية، ومن هنا ظهرت الحاجة الملحة إلى فلسفة تتمحور حول الفرد، وتمنحه مكانة مركزية بوصفه كائناً حراً مسؤولاً عن أفعاله واختياراته، قادراً على تجاوز وضعه المأزوم عبر قراراته الفردية الحرة.¹

وقد انعكست هذه الحاجة على فلسفة الوجوديين، الذين رأوا أن الإنسان يوجد أولاً ثم يُحدّد ذاته من خلال اختياراته، وأن حريته ليست امتيازاً، بل عبء وجودي يُلزمه بتحمل مسؤولية ذاته في عالم لا يقدم له أي ضمانات خارجية. ولهذا كانت أفكارهم في الحرية، والاختيار، والعبث، والقلق، والمسؤولية استجابة فكرية مباشرة للانهايار القيمي والاجتماعي الذي خلّفته الحرب، كما كانت بمثابة صرخة تحرر تعكس الروح الثورية التي سادت أوروبا آنذاك.²

¹ علي حنفي محمود، قراءة نقدية في وجودية سارتر، ط المكتبة القومية الحديثة، د ط، 1996، ص4

² المرجع نفسه، ص 5

2. أثر التقدم العلمي والآثار الاجتماعية في ظهور الفكر الوجودي

إلى جانب الكوارث الإنسانية التي خلفتها الحربان العالميتان، شكّل التقدم العلمي والتقني السريع عاملاً إضافياً وحاسماً في بروز الفلسفة الوجودية. فقد أدّى التطور المذهل في مجالات التكنولوجيا والصناعة إلى تحولات جوهرية في البنية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمعات الحديثة، ما نتج عنه ظهور أنماط معيشية تتسم بالآلية والتميط، وانحسار القيم الإنسانية الأصلية.

وقد تنبّه الفلاسفة الوجوديون، وعلى رأسهم الفيلسوف الفرنسي غابرييل مارسيل (1889-1973)، إلى هذا الخطر الداهم الذي يهدد جوهر الوجود الإنساني.¹ رأى مارسيل أن المجتمعات الحديثة أصبحت تتحوّل نحو التنظيم العقلاني المفرط والاعتماد المتزايد على الآليات والأنظمة التقنية، وهو ما أفرز ما وصفه بـ "العالم المحكم"، أي عالم التنظيمات المحكمة والمغلقة التي تفقد الإنسان خصوصيته الذاتية وتحوّله إلى كائن قابل للاستبدال داخل منظومة إنتاجية صارمة.

في هذا السياق، عبّر مارسيل عن خشيته من ضياع الإنسان وسط التشييء والاعتراّب، حيث لم يعد يُنظر إليه كذات فاعلة واعية، بل كوسيلة داخل جهاز اجتماعي واقتصادي ضخم. هذا التحول دفع الفلاسفة الوجوديين إلى التأكيد على ضرورة استعادة مركزية الإنسان بوصفه كائناً يسبق ماهيته، ويُعطي لوجوده معنى من خلال التجربة الذاتية والاختيار الحر. لقد شكّل التقدم العلمي، برغم منجزاته، مدخلاً إلى أزمة وجودية عميقة، أدت بدورها إلى إعادة طرح الأسئلة حول ماهية الإنسان، وحدود حريته، وكرامته، ومصيره في عالم يزداد خضوعاً للحسابات التقنية والمعايير الموضوعية الصارمة.

3. الوجودية كرد فعل على فلسفات عصر العقل

ظهرت الفلسفة الوجودية كرد فعل نقدي حاد على فلسفات عصر العقل، التي اتسمت بإعطاء العقل مكانة مطلقة باعتباره السلطة العليا التي تملك القدرة على حل كل المشكلات الإنسانية. فقد بالغ فلاسفة هذا العصر في تعظيم العقل وجعلوه الشرط الأساسي للمعرفة الكاملة، معتمدين على فرضية العقل المطلق، التي ترى في العقل قوة مستقلة عن الطبيعة البشرية ومتحررة من

¹ ت.أ.ساخاروفا، من فلسفة الوجود إلى البنيوية، تر. أحمد برقاي، دار دمشق، 1984، بيروت، ص14.

حدودها. لكن هذا الموقف كان اعتقاداً غير واقعي وغير عقلاني، إذ لا يمكن فصل العقل عن طبيعته البشرية التي تحدّ من قواه.¹

لقد أبرز علم النفس الحديث، من خلال اكتشافات سيغموند فرويد حول اللاوعي، محدودية السيطرة العقلانية، إذ أن سلوك الإنسان لا ينشأ فقط من دوافع واعية، بل يتأثر بدوافع لاواعية، غرائز، وانفعالات، فضلاً عن عوامل بيولوجية وخبرات شخصية. فالوعي هو أساس العقل، وبدونه لا يمكن للعقل أن يقوم بوظيفته بشكل صحيح.

إن الادعاء بعقل مطلق قادر على تفسير كل الظواهر وحل كل المشكلات، وُجه له نقد لاذع من قبل الوجوديين، إذ أن العقل في جوهره غير شخصي وطغى على مختلف مجالات الحياة البشرية، بما في ذلك الاتجاه المادي التجريبي الذي سيطر على الفكر والعقلانية، مما أدى إلى تقليص دور الإنسان كذات حية تتمتع بتجاربها الفريدة.

من هذا المنطلق، ثار فلاسفة الوجودية على هذا التفوق المفرط للعقلانية العلمية، التي حاولت إزالة إنسانية الإنسان وإلغاء خصوصيته وتجربته الحية. وأكدوا على ضرورة العودة إلى الواقع الإنساني كما هو، والاعتراف بالوجود الإنساني الفردي في أبعاده الحية والمعاشة، بعيداً عن القوالب الجامدة والمقاييس الصارمة التي تفرضها فلسفات عصر العقل.²

4. دور انتشار المذاهب العلمية والفلسفية في القرن التاسع عشر في نشأة الوجودية

من العوامل الجوهرية التي ساهمت في ظهور الحركة الوجودية، تفشي وانتشار بعض المذاهب العلمية والفلسفية خلال القرن التاسع عشر، والتي سعت لترسيخ مفهوم المطلق في الفكر البشري. فقد وضع إسحاق نيوتن الأسس العلمية لفكرة المطلق في مجال العلم، بينما جاء الفيلسوف هيغل ليؤكد هذه الفكرة على الصعيد الفلسفي، مؤسساً نظرياته على أساس اعتبار العالم المتعدد والمتغير كواقع وهمي، وأن الحقيقة الوحيدة الحقيقية هي المطلق الثابت والجامد.³ وقد لاحظ أنصار الوجودية أن هذه الفلسفات التي تعظم فكرة المطلق، تؤدي إلى محو شخصية الإنسان الفرد وحقيقته الوجودية الفعلية، إذ باتت التجارب الحية للإنسان، بصفاتها كائناً ذا

¹ محمد مهران محمد مدين، المرجع السابق، ص 88

² محمد مهران محمد مدين، المرجع السابق، ص 89.

³ المرجع نفسه، ص 90

شخصية مستقلة ومتميزة، مجرد أوهام غير حقيقية. وبذلك، انتقدوا هذه الفلسفات المثالية التي جعلت من المطلق حقيقة مطلقة ومهيمنة على كل شيء.

جاءت الوجودية كرد فعل لتحرير الإنسان الفرد، واستعادة شخصيته، وفهم تجاربه الإنسانية الحية التي تتمتع باستقلال ذاتي. وبذلك، تعتبر النزعة الوجودية نزعة تحررية تهتم بالفرد، بحريته، بمشاكله، وبالوقوف أمام التحديات التي تواجه الإنسان في حياته.

أما من حيث المنابع الفكرية، فللنزعة الوجودية جذور عميقة تمتد عبر تاريخ الفلسفة، حيث يمكن تتبع أثر الفلاسفة الذين كان لهم تأثير بالغ على تشكل هذه النزعة، بدءاً من سقراط، أفلاطون، وأرسطو في الفلسفة القديمة، مروراً بأوغسطين في العصور الوسطى، وصولاً إلى بليز باسكال في القرن السابع عشر، الذين ساهموا جميعاً في تأسيس المبادئ الفكرية التي قامت عليها الوجودية لاحقاً.¹

المطلب الثاني: المبادئ الأساسية للفلسفة الوجودية

يمكن استخلاص المبادئ الجوهرية التي قامت عليها الفلسفة الوجودية، ولا سيما في تصور جان بول سارتر، من خلال تأمل ما أورده في محاضراته الشهيرة "الوجودية مذهب إنساني" (L'existentialisme est un humanisme). ففي هذا السياق، يؤكد سارتر أن: "الإنسان يوجد أولاً، ثم يشرع في تحديد ماهيته، أي أنه يوجد قبل أن يكون شيئاً محدداً، ويصبح ما يختار أن يكونه عبر أفعاله وقراراته". وتتبنى هذه الرؤية على ثلاث ركائز فلسفية أساسية

أولاً: مبدأ الوجود (La notion d'existence)

تبدأ الفلسفة الوجودية من مفهوم "الوجود" لا باعتباره مجرد خاصية أو صفة ضمن مقولات التفكير الفلسفي التقليدي، ولا بوصفه ماهية ثابتة أو مفهوماً مجرداً، بل كواقع معيش يتجلى في الإنسان بوصفه كائنًا واعياً يوجد في العالم وفي صميم علاقته به. فالوجود لا يُفهم في ذاته كتعريف نظري، بل يُدرك من خلال تمظهره في الموجود الفردي، أي في الإنسان الذي يعيش ويختبر وجوده من داخل ذاته.²

¹ محمد مهران محمد مدين، المرجع السابق، ص ص 91-90.

² سعدي نادية، الأسس الفلسفية لنظرية الفن عند جول بول سارتر، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، 2002-

2001، جامعة الجزائر، 8.

ويستند هذا المفهوم الوجودي إلى مجموعة من الشروط الأساسية التي تميّز الوجود الإنساني عن مجرد "الكينونة" الساكنة للأشياء، وأبرز هذه الشروط ما يلي:

1. التحول الفاعل (La transformation active)

يفرق الفلاسفة الوجوديون بين أن يكون الشيء موجودًا وأن يوجد ككائن فاعل. فالحجر مثلاً "يكون" لكنه لا "يوجد" وجودًا حقيقيًا بالمفهوم الوجودي، لأن وجوده ساكن، موضوعي، لا يتم إلا من خلال تمثّل العقل البشري له. أما الإنسان، فوجوده هو فعل دائم وانتقال مستمر من عالم الإمكان إلى عالم التحقيق، لأنه وحده يمتلك القدرة على تحقيق ذاته بالفعل، من خلال اختياراته وأفعاله الواعية.¹

فوجود الإنسان ليس حالة ثابتة، بل سيروية دينامية تتأسس على التحول المستمر والتجاوز الدائم للمعطى نحو الممكن. إنه مشروع مفتوح في صيرورة لا تنتهي، لأن الإنسان هو الكائن الذي يصنع وجوده بنفسه من خلال الفعل الحر والقرار الذاتي.

2. الاختيار (Le choix libre)

الوجود الحق لا يُحدّد بمجرد المرور من الإمكان إلى الفعل كما في العمليات الفيزيائية أو الكيميائية، بل بما يصحب هذا الانتقال من حرية في الاختيار. فالإنسان لا يوجد فقط لأنه يتحرك أو يتغير، بل لأنه يختار وضعه وواقعه بحرية، ويتحمل تبعات اختياراته دون قسر خارجي.

وبالتالي، فإن الحرية هي شرط أساسي في تحقق الوجود الإنساني؛ فحين يتخلى الإنسان عن حرية اختياره، أو يستقر في حالة وجودية جامدة، فإنه يتنكر لجوهر وجوده الأصيل، ويغدو أشبه بكائن ساكن فقد ديناميكية الوجود.²

فالحرية ليست مجرد إمكانية للاختيار، بل هي ما يمنح للوجود الإنساني معناه ومضمونه، لأن الإنسان من خلالها يُضفي على ذاته وعلى العالم من حوله معنى خاصًا، وذلك عبر ما يسميه الوجوديون إفراز العدم من قلب الوجود، أي القدرة على تجاوز ما هو كائن نحو ما يمكن أن يكون.

¹ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، بيروت دار الكتاب اللبناني، ج2، 1982، ص16

² جميل صليبا، المرجع نفسه، ص 17

المبدأ الثاني: فلسفة رافضة للفلسفات التقليدية (أسبقية الوجود على الماهية La primauté de l'existence sur l'essence)

من المبادئ الأساسية التي تقوم عليها الفلسفة الوجودية رفضها الجذري للفلسفات التقليدية التي منحت الأولوية لمفهوم "الماهية" على حساب "الوجود"، أي تلك الفلسفات التي تصورت أن لكل كائن طبيعة ثابتة ومحددة سلفاً (ماهيته)، وأن وجوده الفعلي في العالم ليس سوى تجلٍ لتلك الماهية المسبقة.

تعارض الوجودية هذا التصور الماهوي، إذ ترى أن الإنسان لا يملك ماهية سابقة على وجوده، بل إن وجوده هو الشرط الأول والأساسي الذي تُبنى عليه ماهيته. فالإنسان يوجد أولاً، ثم يحدد جوهره من خلال أفعاله وخياراته ومسؤولياته. بهذا المعنى، فإن الإنسان مشروع مفتوح على المستقبل، يخلق ذاته بنفسه، ويمنح لحياته معنىً عبر تجربة الحرية والمواجهة الوجودية. وقد عبّر جان بول سارتر عن هذه الفكرة في كتابه "الوجودية مذهب إنساني" بقوله: "الإنسان يوجد أولاً، ثم يعرف نفسه فيما بعد"، أي أن الكائن الإنساني لا يحمل في ذاته تعريفاً قبلياً لما ينبغي أن يكون عليه، بل يصوغ ماهيته في سيرورة حرة ومسؤولة عبر ما يختاره لنفسه من مواقف وسلوكيات.¹

وبذلك تقف الفلسفة الوجودية في مواجهة الفلسفات التي أسست نظرياتها على الفصل بين الكلي والجزئي، بين المعقول والمحسوس، تلك التي أغفلت الفرد، وأهملت الألم الإنساني، والتمزقات الوجودية، والصراعات النفسية التي يعيشها الإنسان ككائن واعٍ في عالم قلق وغير مكتمل. فالفكر الوجودي ينتقد هذه التجريدات النظرية التي اختزلت الإنسان إلى مفاهيم مجردة كـ "العقل" أو "الروح" أو "الماهية"، وأهملت الجانب العيني الشخصي الذي يتمثل في الكائن الحي الذي يشعر، ويتألم، ويتورط في معركة مصير لا يمكن فصلها عن فرديته وتجربته الذاتية.

وتُضيف الوجودية إلى هذا الرفض لمفهوم الماهية باعتباره أولوية نظرية، انتقاداً أكثر عمقاً للمنهج العقلي الكلاسيكي الذي يجعل من الماهيات موضوعاً للتأمل العقلي الكلي والضروري. فالنظر في الماهيات، بحسب هذا المنهج، هو اشتغال على المعقولات المجردة التي يُصيغها

¹ جان فال، مرجع سابق، ص 77.

العقل عبر استقراء الجزئيات، بينما النظر الوجودي يتجه نحو الإمساك بالفرد العيني المشخص، باعتباره واقعاً حياً ومفتوحاً على الحرية والاختيار والتجربة.

لهذا، يرى الوجوديون أن الفلسفات الماهوية تتصف بطابع جبري، حيث تُقيد حرية الإنسان، وتُخضع سلوكه لتصور قبلي عن طبيعته أو صورته في ذهن الله، كما هو الشأن في بعض التصورات الدينية أو الميتافيزيقية التقليدية.

وقد رفض جان بول سارتر هذا التصور بشكل قاطع، مؤكداً أن الإنسان لا يُخلق وفق نموذج محدد أو غاية مسبقة، بل هو كائن حر يأتي إلى الوجود أولاً، ثم يُعرّف نفسه لاحقاً من خلال أفعاله. فالإنسان، في نظر سارتر، لا يُدرك كموضوع محصور في الزمان والمكان، وإنما كنشاط دائم ومتجدد للحرية. والماهية، في هذا السياق، ليست معطى قبلياً، بل نتيجة لما يصنعه الإنسان بنفسه، وهي لا تكتمل إلا عند نهاية الوجود، أي حين يموت الإنسان ويغدو تاريخه الشخصي منجزاً ومغلقاً.¹

ويؤكد سارتر في كتابه "الوجودية نزعة إنسانية" على هذا المفهوم حين يقول: "الإنسان يوجد أولاً، ثم يُعرّف نفسه فيما بعد"، مشدداً على أن الإنسان مشروع مفتوح يخلق ذاته في كل لحظة، وهو لا يملك ماهية ثابتة إلا بعد أن ينهي وجوده.²

من جانبه، يعبر مارتين هيدغر عن هذا الموقف من منظور مغاير في إطار تحليله الأنطولوجي، حيث يرى أن "ماهية الإنسان تكمن في وجوده". والوجود، في فلسفته، ليس مجرد حضور سطحي، بل هو "كينونة في العالم"، أي انخراط فعلي للإنسان في العالم من خلال علاقاته وتجربته المعيشة. وبذلك، فإن الماهية ليست سوى تعبير عن هذا الوجود المندمج في العالم، وليست فكرة مسبقة عليه أو مفروضة من الخارج.

ومن هذا المنطلق، يُمكن القول إن الوجوديين عموماً ينزعون إلى اعتبار الماهية نتيجة وليست مقدمة، ويؤسسون نظرتهم إلى الإنسان على قاعدة الحرية والمسؤولية والتجربة الفردية، وليس على نموذج عقلي أو لاهوتي مسبق.³

¹ جان فال، مرجع سابق، ص 78

² Martin Heidegger, Lettre sur L'humainisme, traduit par Roger, aubier, Editions Montaigne, Paris, 1964, P61

³ رفاة سمية، الاخلاق في الفلسفة الوجودية (سارتر أنموذجا) مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة محمد خيضر،

المبدأ الثالث: الذاتية (الإنسان بوصفه موجودًا حرًا وفردًا أصيلاً)

ترتكز الفلسفة الوجودية في منطلقها الأساس على الذات البشرية، لا على الطبيعة أو العالم الخارجي، فهي فلسفة تبدأ من الإنسان لا من الأشياء، وتركز على التجربة المعاشة لا على الموضوعات المجردة. وعلى هذا الأساس، فإنها تُعدّ فلسفة للذات أكثر من كونها فلسفة للموضوع، وتلتقي في هذا المنحى مع الاتجاهات المثالية، التي تنطلق هي الأخرى من الذات كنقطة بداية لكل معرفة أو إدراك.¹

إلا أن الذاتية في الفلسفة الوجودية ليست ذاتًا مفكّرة فحسب على غرار ما نجده عند ديكارت، بل هي ذات حية فاعلة، توجد بكامل كيائها داخل العالم، وتُعبّر عن ذاتها من خلال الأفعال، والمواقف، والمشاعر، والعلاقات. إنها الذات التي تُبادر، وتشعر، وتخاف، وتتألم، وتختبر الحرية والاختيار، وهي تتأسس وجوديًا بوصفها مركزًا للتجربة الفردية العينية.

وقد ذهب الفيلسوف الدنماركي سورين كيركغور، المؤسس الروحي للفكر الوجودي، إلى القول إن "الحقيقة هي ذاتية"، بمعنى أن الحقيقة لا تُدرك خارج الذات، وإنما تُختبر في عمق التجربة الشخصية والمعاناة، لأن الإنسان يمكنه أن يصرف نظره عن كل ما هو خارجه، لكنه لا يستطيع أن يتجاهل ذاته، أي وجوده الخاص الذي يحمله دائماً معه.

وفي هذا السياق، تتصل الذاتية بفكرة الاختيار، فالإنسان، بحسب الوجوديين، هو مشروع مفتوح على الإمكان، يصوغ وجوده بنفسه من خلال الأفعال التي يختارها بحرية، ويُعرّف نفسه من خلالها. إن الإنسان ليس جوهرًا ثابتًا، بل هو ما يفعله، وما يُحقّقه من ذاته، ومن هنا تصبح الذات ليست فقط مصدر التفكير، بل أيضًا أساس المعرفة الوجودية التي تنطلق من التجربة لا من المفهوم النظري.

كما أن الفلسفة الوجودية تُصرّ على تحليل التجربة الشخصية العينية، وترى فيها نقطة انطلاق للفهم الفلسفي، وترفض بذلك أن تُختزل الذات الإنسانية إلى مفاهيم مجردة أو نماذج مسبقة. إنها تنظر إلى الإنسان كـ "كائن في العالم"، يعيش وجوده الفردي بكل تناقضاته وتمزقاته، وتعتبر أن تحليل هذا الوجود هو المدخل لفهم الذات والآخرين والعالم.²

¹ رفاص سمية، مرجع سابق، ص 18

² رفاص سمية، مرجع سابق، ص 20

لكن الذاتية في الوجودية، رغم طابعها الفردي، ليست انغلاقاً على الذات، بل هي انفتاح على الآخر. فالإنسان، حين يُعبّر عن ذاته، فإنه يكشف في الوقت ذاته عن الذوات الأخرى، لأن وعي الذات لا يتحقق إلا في سياق علاقة مع الآخرين.

ولهذا، فإن الكشف عن الآخرين هو في ذاته ضرورة وجودية، تعكس أن الذات لا توجد في عزلة، بل تتأسس من خلال التفاعل والتواصل والاعتراف المتبادل.

وباختصار، فإن الذاتية الوجودية تقوم على حرية الاختيار، وتجربة المعاناة، والانخراط الفعلي في الحياة، وهي المبدأ المركزي الذي تُبنى عليه الوجودية ككل، في مقابل الفلسفات التي تعلي من شأن الكليات أو الماهيات المجردة.

المطلب الثالث. أبرز فلاسفة الوجودية وافكارهم

عند دراسة الفلسفة الوجودية، يتضح أن هناك تعددية واختلافاً في وجهات نظر كبار فلاسفتها، حيث لا تُعد هذه الفلسفة وحدة متجانسة ذات منهج موحد بل تشمل اتجاهات متعددة تختلف في أساسياتها ومرجعياتها الفكرية. يمكن تصنيف الوجودية إلى نوعين رئيسيين:¹

الوجودية المؤمنة (الوجودية المسيحية): وهي الفلسفة التي تربط الوجود الإنساني بالإيمان بالله، وتعتبر أن العلاقة مع الله هي جوهر وجود الإنسان.

الوجودية الملحدة: وهي التي تنكر وجود الله أو أي كيان إلهي، وتركز على الإنسان ككائن حر ومسؤول عن مصيره بنفسه.

1. اتجاه الوجودية المؤمنة

يمثل هذا الاتجاه فلاسفة وجوديين يؤمنون بالله، ويرون أن الوجود الإنساني لا يمكن فصله عن علاقة الفرد المباشرة بالله. يبدأ هذا التيار بتأملات سورين كيركغارد الدينية، ويشمل أيضاً فلاسفة مثل ياسبرز ومارسيل الذين وضعوا الإنسان في محور العلاقة مع الإله كجوهر للوجود.²

¹ سماح رافع محمد، المذاهب الفلسفية المعاصرة ، مكتبة مدبولي، ط1، 1973، 1، القاهرة ، ص117

² سماح رافع محمد، مرجع سابق ، ص118

أ. سورين كيركغارد (1813م - 1855م)

يُعتبر سورين كيركغارد الفيلسوف الدنماركي المؤسس للفلسفة الوجودية، وقد تميزت مؤلفاته بأنها خليط من الاعترافات العاطفية الشخصية والتأملات الفلسفية والمقالات الأدبية، مما يجعل كتاباته ذات طابع شخصي وتجريبي بامتياز ومن بين أهم مؤلفاته نجد:

إما/أو: نقضة من الحياة (1843م) / مدارج الحياة (1845م)

يرجع الفضل إلى كيركغارد في وضع الأسس الأولى للفلسفة الوجودية، حيث رفض الفكر الهيجلي السائد في زمانه، معتبراً أنه لا يعبر عن الذاتية ولا يحترم الحرية الفردية، وبالتالي فهو يهدر جوهر الوجود الذي تحاول الوجودية التركيز عليه. وبهذا، يمكن القول إن كيركغارد هو "بذرة الوجودية"، إذ أنه أول من استخدم مصطلح الوجود بمعناه الفلسفي الحقيقي.¹

ب. كارل ياسبيرس (1883م - 1969م)

كارل ياسبيرس هو فيلسوف ألماني معاصر من أبرز فلاسفة الوجودية، حيث أسهم بشكل كبير في تطوير هذا التيار الفلسفي. من أهم مؤلفاته:²

الموقف الروحي للعصر (1931م) / العقل والوجود (1932م)

يرى ياسبيرس أن الفلسفة الوجودية تركز بشكل أساسي على قضايا الفرد وتأملاته العميقة، ويؤكد ياسبيرس أن الوجودية ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بمشكلات الإنسان في العصر الحديث، لا سيما في زمن الحروب والعنف وإهمال حقوق الإنسان، من الناحية الميتافيزيقية، يقسم ياسبيرس الوجود إلى ثلاثة مستويات رئيسية:

1. العالم: وهو موضوع العلم، حيث يُنظر إليه باعتباره الواقع الخارجي الموضوعي.

2. الأنا: وهو الذات في ذاتها، التي تحمل صفة الوجود الحقيقي الكامل، أي وجود الفرد بذاته.

3. الوجود الأعلى: وهو ما يتجاوز الأنا والعالم، ويُشار إليه بالفلسفة عادة باسم الله.

¹ يحي هويدي، قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة، د ط، 1993، القاهرة، ص123

² محمد إبراهيم الفيومي، الوجودية (فلسفة الفهم الإنساني)، مكتبة الانجلو المصرية، 1993، القاهرة، ص93.

هذا التقسيم يعكس انتماء ياسبيرس إلى الاتجاه المؤمن داخل الفلسفة الوجودية، إذ يؤكد على وجود بعد إلهي يتجاوز الإنسان والعالم، مما يجعل العلاقة بين الإنسان والله محوراً أساسياً في فلسفته.¹

ج. غابرييل مارسيل (1889م – 1973م)

يُعتبر غابرييل مارسيل من أبرز فلاسفة الوجودية المسيحية الكاثوليكية، وقد سعى جاهداً لإظهار عدم وجود تناقض بين المسيحية والفلسفة الوجودية، بل ورأى أنهما يشكلان وحدة متكاملة. يرى مارسيل أن الوجود الإلهي الأعلى، أو الذات الإلهية، تؤثر بشكل مباشر على وعي الفرد ومواقفه الوجودية، مما يدفعه إلى التأمل في ذاته وعلاقته بالكون، كما يؤمن مارسيل، مثل معظم الفلاسفة الوجوديين، بحرية الفرد وقدرته على تقرير مصيره وإبداع ماهيته الخاصة، مشدداً على أن الماهية ليست ثابتة، بل هي نتاج لوعي الفرد وتجربته الشخصية.² فيما يتعلق بفهمه للوجود، يميز مارسيل بين:

1. الوجود الموضوعي: وهو الوجود الملموس الذي يمكن ملاحظته في العالم الخارجي.
2. الوجود عند النظر إلى المعطى الأساسي للوجود: وهو التجسيد، حيث يعبر مارسيل عن صعوبة فهم العلاقة بين الذات وجسدها، فهو يرى أنه من المستحيل تحديد هذه العلاقة كعلاقة وجودية أو كعلاقة تملك، إذ يبقى المرء عاجزاً عن تحقيق التوافق الكامل بين ذاته وجسده.

يرى مارسيل أن هذا التباين أو التوتر بين الذات والجسد يعكس تعقيد الوجود الإنساني، وأن هذه الأزمة في العلاقة مع الجسد تفتح المجال للتأمل العميق في معنى الوجود الفردي، وهو ما يشكل جوهر فلسفته الوجودية المسيحية.³

¹ محمد إبراهيم الفيومي المرجع نفسه، ص 93.

² علي عبد المعطى، اعلام الفلسفة الحديثة ، دار المعارف ، ط5، دس، القاهرة ، ص251

³ المرجع نفسه، ص 252

2. اتجاه الوجودية الملحدة:

يمثل هذا الاتجاه مجموعة من الفلاسفة الوجوديين الذين لا يعترفون بوجود الله ولا يقرون به، ويرفضونه بشكل تام، معتبرين أن الله غير موجود. من أبرز ممثلي هذا التيار الفلسفي نذكر مارتن هيدغر وجان بول سارتر.

أ. مارتن هيدغر (1889م - 1976م)

يعد مارتن هيدغر أحد أبرز فلاسفة الوجودية الألمانية، ويمثل قمة الإبداع في هذا المذهب. من أهم مؤلفاته "ما الميتافيزيقا؟" وخصوصًا كتابه "الوجود والزمان" الذي صدر عام 1927 في المجلد الثامن من سلسلة "حوليات الفينومينولوجيا والبحث الفينومينولوجي"، ويعتبر هذا العمل من أعظم الكتب وأهمها في تاريخ الفلسفة و تبرز أهمية "الوجود والزمان" في الطرح الأصلي لمشكلات الفلسفة الأساسية، وفي الكشف عن مفاهيم جديدة في دراسة الأنطولوجيا المتعلقة بالوجود الإنساني أو ما يسميه "الآنية" (Dasein).¹

يمكن وصف هذا الكتاب كبداية انقلاب جذري في التفكير الفلسفي، إذ امتد تأثيره من حقل الفلسفة إلى مجالات العلم والأدب والطب والشعر، وأضحى أعظم تحليل فلسفي للوجود الإنساني في سياق الفلسفة الوجودية على مدى تاريخها.

يرى هيدغر أن مهمة الفيلسوف هي توضيح معنى الوجود، مشيرًا إلى ضرورة أن يواجه الإنسان سؤال الوجود إلى ذاته ليصبح إنسانًا واعيًا، وفي كتابه "الوجود والزمان"، أكد هيدغر أن الوجود هو وجود الموجودات التي تستمد وجودها من ذاتها، وأن الموجودات هي التي تجعل الوجود ممكنًا، إذ أن "الموجودات سابقة على الوجود". بمعنى آخر، وجود الأشياء الملموسة والأساسية هو الذي يؤسس مفهوم الوجود نفسه.

ب. جان بول سارتر (1905م - 1980م)

يُعد جان بول سارتر من أبرز الشخصيات الفلسفية والأدبية في القرن العشرين، وتكمن أهمية شخصيته في أن الفلسفة الوجودية الحديثة استمدت شهرتها وانتشارها العالمي من خلال كتاباته ومواقفه الفكرية، الأمر الذي يجعل من دراسة فلسفته أمرًا محوريًا في أي بحث حول الوجودية.²

¹ إبراهيم أحمد، اشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هيدغر، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، 2006، الجزائر، ص65.

² فؤاد كامل، المرجع السابق، ص2014.

ولد سارتر في باريس بتاريخ 11 يونيو 1905. توفي والده الذي كان ضابطاً في الجيش الفرنسي بعد ولادته بثمانية أشهر فقط، وتولت والدته تربيته قبل أن تتزوج مرة ثانية عندما بلغ الحادية عشرة من عمره. التحق سارتر بـ "المدرسة العليا للأساتذة" (École Normale Supérieure) في باريس، وتخرج منها سنة 1929، حيث كان من بين زملائه في الدراسة الفيلسوفة سيمون دي بوفوار التي ستصبح لاحقاً شريكته الفكرية والحياتية.

عمل سارتر في مجال التعليم، حيث درّس الفلسفة في المدارس الثانوية الفرنسية خلال الفترة ما بين 1931 و1945، وشارك في الحرب العالمية الثانية بصفته جندياً، ثم وقع في الأسر عام 1940، قبل أن يُفرج عنه لاحقاً. وخلال فترة ما بين 1936 و1940، أصدر ثلاثة أبحاث فلسفية حاول من خلالها تطبيق المنهج الفينومينولوجي لهوسرل على مفاهيم مثل الخيال والانفعالات.¹

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية، كانت شهرة سارتر قد بلغت ذروتها، وأصبح يُعرف على نطاق واسع بلقب "زعيم الفلسفة الوجودية"، لقد جمع بين الفلسفة والأدب، وكان يرى أن الفلسفة لا ينبغي أن تبقى في حدود التأمل المجرد، بل يجب أن تعبر عن الحياة الإنسانية من خلال الأشكال الأدبية كالرواية والمسرحية، وهو ما تجلّى في أعماله مثل "الوجود والعدم" و"الجدار" والأيدي القذرة".

وقد شهدت هذه المرحلة من حياة جان بول سارتر (ما بعد الحرب العالمية الثانية) ازدهاراً كبيراً في إنتاجه الأدبي والفلسفي، حيث توالى أعماله المسرحية والروائية التي شكلت صرحاً من صروح الأدب الوجودي، ومنحته مكانة راسخة في تاريخ الأدب الفرنسي الحديث. ومن بين أبرز أعماله الروائية نذكر الغثيان (1938)، التي تُعد من أوائل رواياته الفلسفية، والجدار (1939) التي تضم مجموعة من القصص القصيرة، بالإضافة إلى الثلاثية الشهيرة دروب الحرية، والتي بدأها بسن الرشد، ثم الحزن العميق (1948)، وركز من خلالها على صراع الفرد مع قيم الحرية والالتزام.²

¹ فؤاد كامل، المرجع السابق، ص2015

² فؤاد كامل، المرجع السابق، ص2015

أما في المجال المسرحي، فقد كتب عدة مسرحيات تعكس رؤيته الوجودية مثل الذباب (1944)، وموتى بلا قبور (1946)، والأيدي القذرة (1948)، حيث جسد من خلالها قضايا الحرية والمسؤولية الفردية وسط أجواء سياسية واجتماعية محتدمة.

استمرت إسهامات سارتر الفكرية حتى وفاته سنة 1980، بعد صراع طويل مع المرض. وقد ترك تراثاً غنياً شمل الفلسفة، والأدب، والسياسة، مؤكداً بذلك أن الفلسفة ليست مجرد تأمل نظري، بل ممارسة حية وانخراط فاعل في قضايا العصر

المبحث الثاني: التعريف بغابرييل مارسيل وفلسفته

تتعدد الاتجاهات الفلسفية التي تناولت الوجود الإنساني عبر التاريخ، غير أن ما يميز فلسفة غابرييل مارسيل هو انبثاقها من عمق التجربة الذاتية والمعاناة الوجودية للإنسان المعاصر، فقد ارتبطت فلسفته ارتباطاً وثيقاً بالحياة اليومية وبالواقع الوجودي المعيش، في محاولة لإنقاذ الإنسان من العزلة الروحية والتشيع الذي فرضته النزعة المادية والعقلانية الحديثة، ومن هنا تنبثق أهمية التعرّف على شخصية مارسيل، وعلى السياقات الثقافية والفكرية التي أسهمت في تشكيل رؤيته الوجودية، في هذا المبحث، سنسعى إلى تقديم عرض موجز لحياة غابرييل مارسيل، ونشأته الفكرية، وأهم محطات تطوره الفلسفي، مع التركيز على أهم القضايا التي شكّلت صلب تفكيره.

المطلب الأول: التعريف بغابرييل مارسيل وحياته ومؤلفاته

يُعدّ مارسيل من أبرز ممثلي التيار الوجودي الروحي أو "الوجودية المسيحية"، حيث لم يُقم فلسفته على أنقاض الإيمان، كما فعل سارتر أو هايدغر، بل جعل من الإيمان بالأمل، بالآخر، وبالسرّ، محوراً أساساً في مقاربته للوجود.

أولاً: تعريف غابرييل مارسيل

غابرييل مارسيل (Gabriel Marcel, 1889-1973) هو فيلسوف فرنسي بارز، وكاتب مسرحي، وناقد موسيقي، يُعدّ أحد أبرز الأصوات في الفلسفة الوجودية ذات التوجه المسيحي خلال القرن العشرين، على الرغم من تحفظه الشخصي على هذا التصنيف، يتميز مارسيل بمقاربته الفلسفية التي ترفض التجريد المطلق والنزعة العقلانية الصارمة، مفضلاً الغوص في التجربة الإنسانية المعيشة كمدخل لفهم الوجود ولقد اشتهر بتمييزه بين مفهوم "السرّ" (Mystery)، الذي يراه أساساً للوجود الإنساني العميق الذي يتجاوز التحليل العقلي،

و"المشكلة" (Problem)، التي يمكن حلها تقنيًا، وهو تمييز يعكس رؤيته للإنسان ككائن متعالٍ لا يُختزل إلى مجرد كائن بيولوجي أو تقني، تأثر مارسيل بالفينومينولوجيا، وخاصة أعمال إدموند هوسرل، لكنه أضاف إليها بعدًا روحيًا وإنسانيًا متأثرًا بتحوّله إلى الكاثوليكية عام 1929، مما جعله يتقاطع مع فلاسفة مثل مارتن بوبر في التأكيد على العلاقات البينية (1-Thou) كجوهر للحياة البشرية.

انتقد بشدة النزعة المادية والتكنولوجية التي سادت عصره، معتبرًا أنها تهدد الكرامة الإنسانية وتحول الشخص إلى مجرد "شيء" أو "هو" في النظام الاجتماعي، بدلًا من "أنت" يحمل قيمة متفردة. سعى من خلال فلسفته إلى استعادة الأمل والإيمان كأدوات لمواجهة الاغتراب في المجتمع الحديث، داعيًا إلى إعادة تأسيس الحياة على أسس العلاقات الأصيلة والتواصل الحقيقي بين الأفراد. لم يكتفِ مارسيل بالكتابة الفلسفية، بل امتد نشاطه إلى المسرح، حيث كتب أعمالاً درامية جسدت أفكاره بأسلوب فني يخاطب العقل والقلب معًا، مما جعله شخصية فريدة تجمع بين التأمل الفكري العميق والتعبير الإبداعي. كذلك، كان ناقدًا موسيقيًا شغوفًا، حيث كتب عن باخ وموزارت، معبرًا عن إيمانه بأن الفن يمكن أن يكون جسرًا لفهم الأبعاد الروحية للوجود. يبقى مارسيل صوتًا متميزًا دعا إلى إعادة النظر في المعنى الحقيقي للإنسانية في عصر يهيمن عليه العلم والتقنية.¹

ثانيا: حياة غابرييل مارسيل

وُلد غابرييل أونوريه مارسيل في 7 ديسمبر 1889 في باريس، في أسرة مثقفة ذات خلفية دبلوماسية، حيث كان والده، هنري مارسيل، مستشارًا في الخارجية الفرنسية ومديرًا لاحقًا للمتحف الوطني للفنون الجميلة، بينما كانت والدته، لور ماير، من أصل يهودي توفيت عام 1893 عندما كان في الرابعة، وهو حدث أثر بقوة في رؤيته للموت والفقدان، كما يتضح في كتاباته اللاحقة، تربي مارسيل على يد عمته، التي أصبحت زوجة أبيه لاحقًا، في بيئة غنية بالثقافة والفنون، مما غذى اهتمامه المبكر بالموسيقى والأدب. تلقى تعليمه في ثانوية كارنو المرموقة، ثم التحق بجامعة السوربون، حيث أكمل دراسته الفلسفية وحصل على شهادة الأغريغاسيون (Agrégation) في الفلسفة عام 1910 في سن العشرين، وهي شهادة نادرة

¹ اية صلاح حسنين فرغلي باحثة دكتوراه في الفلسفة المعاصرة، المقارنة في مفهوم السر الأنطولوجي عند غابرييل مارسيل (قراءة تحليلية نقدية) قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ص 01

في هذا العمر توهله للتدريس الجامعي، مما يعكس تفوقه الأكاديمي المبكر. خلال الحرب العالمية الأولى (1914-1918)، تطوع للعمل مع الصليب الأحمر الفرنسي في قسم البحث عن المفقودين، حيث كان ينقل أخبار الجنود إلى عائلاتهم، وهي تجربة شكلت لديه وعيًا عميقًا بالمعاناة الإنسانية والحاجة إلى التضامن، كما أثرت في تطوير مفهومه عن "الحضور" (Presence). لم يسع مارسيل إلى مسار أكاديمي تقليدي كأستاذ دائم، بل درّس بشكل متقطع في معاهد ثانوية مثل فندوم (1911-1912)، وسينس (1915-1918)، وكوندورسيه في باريس (1919-1922)، قبل أن يتفرغ منذ 1923 للكتابة الفلسفية والمسرحية بدوام كامل، مستفيدًا من دخل متواضع من النشر وأحيانًا من ترجماته. في عام 1919، تزوج من جاكلين بواسون، وهي زوجة داعمة لمسيرته حتى وفاتها عام 1947، وبعد ذلك تبنى ابنة أخيها، مما أضاف بُعدًا عائليًا إلى حياته.

كان تحول مارسيل إلى الكاثوليكية في 23 مارس 1929 نقطة فاصلة، إذ جاء بعد سنوات من التأمل الفكري بدأها من موقف لأدري متأثر بوالده، ثم تأثر بفلسفات مثل هيغل، برغسون، وف.ه. برادلي، قبل أن يجد في الإيمان المسيحي إجابات لأسئلته الوجودية. عاش في باريس معظم حياته، وكان يستضيف جلسات نقاش فلسفي أسبوعية في منزله منذ الثلاثينيات وحتى الستينيات، جذبت مفكرين شبابًا مثل جان بول سارتر، بول ريكور، وإيمانويل ليفيناس، مما جعله مركزًا للحوار الفكري في فرنسا.

خلال الحرب العالمية الثانية، بقي في فرنسا وواصل الكتابة، معبرًا عن مقاومته للنزعة الجماهيرية في أعمال مثل "الإنسان ضد المجتمع الجماهيري". حصل على جوائز مرموقة مثل جائزة السلام الألمانية عام 1964، وتوفي في 8 أكتوبر 1973 في باريس، تاركًا إرثًا غنيًا في الفكر والفن. كان مارسيل شغوفًا بالموسيقى، حيث عزف البيانو وكتب نقدًا عن أعمال باخ وفاغنر، مما يعكس شخصيته متعددة الأوجه التي جمعت بين التأمل الفلسفي والتعبير الإبداعي.¹

¹ Stanford Encyclopedia of Philosophy ، Gabriel (honoré) Marcel Biographical Sketch ،

nov16,2004 ; substantive revision sun may 9 , 2021

<https://plato.stanford.edu/entries/marcel/biogsket>

ثالثاً: مؤلفات غابرييل مارسيل

ترك غابرييل مارسيل تراثاً أدبياً وفلسفياً غزيراً يشمل أكثر من اثني عشر كتاباً فلسفياً، ونحو ثلاثين مسرحية، إلى جانب مقالات نقدية في الموسيقى والأدب، مما يعكس تنوع اهتماماته ورؤيته المتكاملة للفكر والفن. بدأ مسيرته الفكرية بـ "اليوميات الميتافيزيقية" (Journal Métaphysique, 1927)، وهي مجموعة تأملات كتبها بين 1914 و1923، عكست تحولاته من المثالية المطلقة التي تأثر بها من برادلي إلى فلسفة وجودية متجذرة في التجربة الحية، حيث تناول قضايا مثل الحرية والعلاقة بالآخر. تبع ذلك كتاب "الوجود والامتلاك" (Être et Avoir, 1935)، الذي قدم فيه تمييزاً جوهرياً بين "الكينونة" (Being) كتجربة وجودية أصيلة، والامتلاك (Having) كعلاقة مادية سطحية، معبراً عن رفضه لاختزال الإنسان إلى أبعاده المادية. من أبرز أعماله الفلسفية "سر الوجود" (The Mystery of Being, 1950-1951)، وهو عمل في مجلدين قدمه في محاضرات جيفورد بجامعة أبردين (1950-1949)، حيث استكشف التوتر بين الوجود الإنساني كسرٍ متعالٍ والنزعة العلمية التي تحولته إلى مشكلة قابلة للحل، وهو يُعدّ أكثر عروضه شمولية وتأثيراً. كما ألف "الإنسان ضد المجتمع الجماهيري" (Man Against Mass Society, 1952)، وهو نقد حاد للحدثة التكنولوجية والمجتمع الجماهيري الذي يهدد الكرامة الإنسانية، داعياً إلى استعادة التضامن والعلاقات البينية كأساس للحياة الأصيلة. في "الإخلاص الإبداعي" (Creative Fidelity, 1964)، طور مفهوم الوفاء كعمل إبداعي يعزز العلاقات الإنسانية، بينما قدم في "الخلفية الوجودية للكرامة الإنسانية" (The Existential Background of Human Dignity, 1963)، وهي محاضرات وليم جيمس بجامعة هارفارد، تأملات حول أسس الكرامة في مواجهة الاغتراب الحديث. في المسرح، كتب أعمالاً مثل "عدو التقاليد" (L'Iconoclaste, 1923)، الذي تناول الصراع بين الفرد والمجتمع، ورجل رباني" (Un Homme de Dieu, 1925)، الذي عكس تساؤلاته حول الإيمان، والعالم المكسور" (Le Monde Cassé, 1933)، الذي صور انهيار القيم في عصر الحدثة، والفانوس" (Le Final, 1936)، الذي قدم تأملات عن الأمل وسط اليأس، إلى جانب أعمال أخرى مثل "الطريق الملكي" (Le Rome nest plus dams, 1936) وروما لم تعد في روما" (Chiming de Crete, 1936)، كانت مسرحياته وسيلة لنقل فلسفته إلى جمهور أوسع، حيث استخدم الدراما

لتجسيد مفاهيمه مثل الحضور والعلاقة بالآخر بأسلوب شعري وحيوي. كما كتب مقالات نقدية عن الموسيقى، منشورة في مجلات مثل *Revue Musicale*، حيث أشاد بباخر وموزارت كمصادر للتعالى الروحي. تُرجمت أعماله إلى الإنجليزية والألمانية والإسبانية، وأُنْتُجت مسرحياته في الولايات المتحدة وأوروبا، مما عزز حضوره العالمي. تميزت كتاباته بأسلوب وصفي عميق يمزج الفلسفة بالأدبية، مع تركيز على القيم الروحية والأخلاقية، مما جعله صوتاً متفرداً في القرن العشرين.¹

المطلب الثاني: مصادر فلسفته

كان مارسيل معارضاً للفلسفات المادية والعقلانية الصارمة التي كانت سائدة في عصره، خاصة تلك التي تبناها فلاسفة مثل ديكارت وكانط بدلاً من ذلك، ركز على "الوجود" كتجربة حية، معتبراً أن الفلسفة يجب أن تنطلق من الحياة اليومية وتجارب الإنسان الشخصية. تأثر مارسيل بالمسيحية الكاثوليكية، لكن فلسفته كانت مفتوحة لجميع البشر، بغض النظر عن معتقداتهم الدينية.

أولاً: المفاهيم الأساسية في فلسفة مارسيل

1. الوجود مقابل الامتلاك (Être vs Avoir)

في كتابه الشهير «الوجود والامتلاك» (Être et Avoir, 1935)، يفرق مارسيل بين "الوجود" و"الامتلاك". يرى أن المجتمع الحديث أصبح يركز بشكل مفرط على الامتلاك المادي (المال، السلع، السلطة)، مما أدى إلى تدهور القيم الإنسانية والروحية. من ناحية أخرى، "الوجود" يتجلى في العلاقات الإنسانية العميقة، مثل الحب، والصداقة، والإيمان. الوجود الحقيقي، بالنسبة لمارسيل، هو أن تكون حاضراً مع الآخرين بشكل أصيل، وليس مجرد امتلاك أشياء.

2. السر (Le Mystère)

مارسيل يميز بين "المشكلة" (Problème) و"السر" (Mystère). المشكلة هي شيء يمكن حله بالمنطق والعقل، مثل المسائل العلمية. أما السر فهو شيء يتجاوز العقل، مثل وجود الله، أو معنى الحياة، أو الحب. هذه الأسرار لا يمكن حلها، بل يجب التعايش معها وفهمها من خلال التجربة الشخصية.

¹ Stanford Encyclopedia of Philosophy ، Gabriel (honore) Marcel, the same reference.

3. العلاقات الإنسانية

كان مارسيل يؤمن بأن العلاقات الإنسانية هي جوهر الوجود. في كتابه "سر الوجود" (Le Mystère de l'Être, 1951)، يناقش كيف أن الحب وال صداقة يجعلان الإنسان يشعر بالانتماء إلى شيء أكبر من نفسه. هذه العلاقات ليست مجرد تفاعلات اجتماعية، بل هي تعبير عن الوجود الأصيل.

4. الأمل والخلود

في أعمال مثل الوجود والسر" (Presence et Immortalité, 1959)، يناقش مارسيل مفهوم الخلود والأمل ويرى أن الأمل ليس مجرد تمنى، بل هو ثقة في وجود معنى أعمق للحياة يتجاوز الموت هذا المفهوم مرتبط بإيمانه المسيحي، لكنه أيضًا يتحدث إلى أي شخص يبحث عن معنى روحي في حياته.

ثانياً: أسلوب مارسيل الأدبي والفلسفي وتأثيره على الفلسفة الحديثة

تميز أسلوب مارسيل بالوضوح والعمق مع تركيز كبير على الحوار والتأمل الذاتي، كان يعتمد على الأمثلة الحية من الحياة اليومية لتوضيح أفكاره مما جعل فلسفته قريبة من الناس العاديين بالإضافة إلى ذلك كتب مارسيل العديد من المسرحيات التي تعكس أفكاره الفلسفية مثل مسرحية "العالم المحطم" (Le Monde Cassé, 1933)، التي تناقش انهيار القيم الإنسانية في المجتمع الحديث.

ولقد كان لمارسيل تأثير كبير على الفلسفة الوجودية، خاصة في الجانب المسيحي منها على عكس جان بول سارتر الذي ركز على العبثية والحرية المطلقة حيث قدم مارسيل رؤية أكثر تقاؤلية وإيمانية وأعماله ألهمت العديد من الفلاسفة واللاهوتيين في القرن العشرين ولا تزال تُدرس في الجامعات حول العالم.

المطلب الثالث: مميزات فلسفة غابرييل مارسيل الوجودية

كانت حياة غابرييل مارسيل تتميز بقناعة عميقة بضرورة الفهم والتقارب بين الناس. وقد ارتبط بالعديد من فلاسفة عصره مثل بول ريكور، إيمانويل ليفيناس، جان فال، سيمون دي بوفوار، نيكولاس بيردياييف، وجان بول سارتر وبعد فهم شخصيته وفكره، يصبح من الضروري التعمق في نظريته الوجودية من أجل إبراز أهميتها في مجتمعنا المعاصر.

أولاً: الوجودية عند غابرييل مارسيل

1. مفهوم الوجود عند غابرييل مارسيل

يُعتبر عمل غابرييل مارسيل ذا أهمية خاصة في مجال الوجودية الدينية، حيث يسعى إلى تقديم نظرية للوجود والقيمة قائمة على التسامي، كما أنه يتضمن تأملات متتابعة حول موضوعات مختلفة تلتقي فقط في سعيها للكشف عن حالة الإنسان. ويرتبط فهم مارسيل لفلسفته الوجودية بمشكلته الأساسية المتعلقة بـ الكينونة.¹

لقد أظهر للأجيال الشابة أن الوجودية التوحيدية ممكنة، ولهذا السبب بدأت رحلته الفلسفية من تجربته الوجودية الخاصة، ما جعله يركز طوال تطوره الفلسفي على مفهوم الضرورة الملحة للوجود (exigence of being).

تركز وجوديته على الالتزام بتنمية الوجود الملموس للفرد، وإعادة بناء الاحترام المتبادل والثقة في العلاقات الإنسانية، والاعتراف بالقيمة الحقيقية للإنسان في علاقته مع الآخرين، من خلال الإحساس بالترابط بينهم. ولهذا، يرى أن السؤال عن وجود الإنسان ليس مشكلة، بل لغز.

طرح غابرييل مارسيل في فلسفته تصوراً أنطولوجياً يتمحور حول فكرة "الوجود" كتجربة حية تتجاوز الإطار الموضوعي للمعرفة التقليدية. يرى مارسيل أن الإدراك الوجودي لا يتحقق عبر التأمل المجرد، بل من خلال الفعل الذي يُطلق عليه "اليقين الوجودي". في هذا السياق، يصبح السؤال عن الوجود لحظة كشف ذاتي، حيث يجد الفرد نفسه مواجهاً للوجود في أصالته المباشرة، كما يشير في كتابه أوضاع السر الأنطولوجي: "الوجود لا يؤكد كحقيقة خارجية، بل يؤكد ذاته في حضوره الداخلي". هذا التصور يعكس رفض مارسيل للنزعة العقلانية التي تختزل الوجود إلى مجرد موضوع للتحليل.²

¹ أحمد حامد، الوجودية عند جابرييل مارسيل، صحيفة المثقف، نشر بتاريخ 15 أغسطس 2017

<https://almothaqaf.com>

² جاك شورون: الموت في الفكر الغربي، ترجمة: كامل يوسف حسين، مراجعة وتقديم: إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة، العدد (76)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أبريل، 1984م، ص ص 273-274

يؤكد مارسيل أن نقطة البداية في التفكير الأنطولوجي يجب أن تكون تجربة الوجود الفردي، وليس الوجود الكلي كمفهوم مجرد. في كتابه من الإباء إلى النداء، يوضح أن التعمق في الجزئي - أي الوجود الفردي - هو المدخل الوحيد لإدراك الكلي، قائلاً: "كلما أدركنا الوجود الفردي في خصوصيته، اقتربنا من فهم الوجود بما هو وجود". هذا المنظور يبرز التزامه بمقاربة تجريبية ترى الوجود كسر لا نهائي، لا يمكن اختزاله إلى تعريفات محددة.

ويصف مارسيل وجوده الذاتي بأنه "سر ملغز"، حيث يكشف الفرد نفسه كوحدة تتجاوز الثنائية التقليدية بين الذات والموضوع. فهو يرى نفسه خارج العالم وداخله في آن واحد، مشاركاً في عالم الأشياء، لكنه يتجاوزه بوعيه اليقيني. في كتابه فلسفة الوجود، يشير إلى أن "المعنى الأنطولوجي يتسم بالغموض"، لكنه يميز بين "الوجود المبهم" و"الوجود الجلي"، معتبراً أن هذا الغموض يستدعي تحليلاً أعمق يحترم طبيعته السرية.

يربط مارسيل "سر الوجود" بحضور ذاتي لا يمكن تحويله إلى موضوعية دون أن يفقد جوهره. في هذا السياق، يقول: "الوجود يصبح حضوراً من خلال العلاقات غير القابلة للاختزال إلى موضوعية، وهي علاقات تنطوي دائماً على السر". ويضيف أن استمرارية الحياة الذاتية هي ما يمنح الوجود بعده الأنطولوجي، فبدون هذا "الاستمرار الحي" للذات، لما كان هناك مجال للحديث عن سر وجودي.¹

في كتابه الوجود والملك يعبر مارسيل عن فكرة أن "الوجود الفردي هو ما لا ينضب"، مؤكداً أن كل وجود فردي، سواء كان مغلقاً أو لا نهائياً، يشكل تعبيراً رمزياً عن السر الأنطولوجي وفي فلسفة الوجود، ينتقد غياب "الحاجة الأنطولوجية" في العالم المعاصر مشيراً إلى أن هدفه الفلسفي يتمثل في استعادة الخبرة الإنسانية كت تحقيق فعلي للوجود.²

Marcel, Gabriel, The philosophy of Existence, Translated by: Manya Harari, The Harvill Press Ltd., London, 1954, P. 19, 28.

¹ ريجيس جوليقييه: المذاهب الوجودية من كيركجور إلى جان بول سارتر، ص ص 293-294 وكذلك: زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، ج (1)، ص 500.

وكذلك: فؤاد كامل: فلاسفة وجوديون، ص 73

² Marcel, Gabriel.: The Mystery of Being II, (Faith & Reality), 1951 P. 103

ويرى مارسيل أن العنصر الأساسي في الفلسفة الوجودية هو الترابط بين الوجود والغيرية وأولية التواصل بين البشر فهو يعتقد أن العالم الذي نعيش فيه هو عالم يسود فيه السعي الفردي للمصلحة الذاتية مما يجعله عالمًا مكسورًا فقد وحدته الداخلية ومعناه. هذا العالم المكسور يتميز بانحلال أخلاقي وعدم استقرار وجرائم وحروب وتعصب عرقي وشور وفوضى وكلها عوائق أمام تطوره وتقدمه.

يعتقد مارسيل أن المعنى الحقيقي للعالم يتحقق عندما نعود إلى ذاتنا، ونتساءل عن الوجود، ونفتح على الآخرين عبر التواصل والتفاعل العميق. ف الاستقلالية الذاتية تتحقق عندما نكتشف ذاتنا ككائنات مستقبلة للآخرين، وليس فقط كقوة تُمارَس عليهم.

يرتكز هذا الفكر على التزام الفرد بالمشاركة مع الآخرين من خلال الانفتاح على احتياجاتهم والتفاعل معهم. بالنسبة لمارسيل يمكن لكل من الفلسفة والحياة الإنسانية أن تتعمق تدريجيًا في المعنى فالهوية الذاتية الحقيقية تتجلى في إدراك الإنسان لقيمتها الحقيقية في علاقته مع الآخرين وهي علاقة تصل في النهاية إلى ما يسميه مارسيل التبادلية الذاتية (inter-subjectivity)، أي الإحساس بالترابط المشترك الذي يتعزز ويزداد عمقًا كلما تعرّف الأفراد على أنفسهم وتقرّد كيانهم.¹

واستند بحث مارسيل الفلسفي إلى علاقة الإنسان بالآخرين، في الإنسان الجوال: مقدمة في ميتافيزيقيا الأمل والتي تتجلى في لقاء متبادل بين "الأنا" و"الأنت"، حيث يتعرف الاثنان على بعضهما البعض كأشخاص.²

ويطرح مارسيل فكرة مفارقة جوهرية في هذه العلاقة: "أنا أسعى إلى تأكيد ذاتي من خلال الآخر (الأنت)، وهذا الآخر يعزز وجودي، وبالتالي أدرك وجودي عبر وجود"، يشير هذا التصور إلى أن الآخر ليس مجرد كيان خارجي، بل هو مرآة وجودية تمنح "الأنا" إدراكها

¹ Blackham, H.J.: Six Existentialist Thinkers: Kierkegaard, Nietzsche, Jaspers, Marcel, Heidegger, Sartre, Routledge & Kegan Paul Ltd., Great Britain, 1982, P.67. (Marcel, Gabriel. The philosophy of Existence, P. 4) .

² Marcel, Gabriel , The Mystery of Being II, ibid, P. 8, 33

الأولي لوجودها بمعنى آخر الإيمان بوجود الآخر يصبح شرطاً لتأكيد وجود الذات، مما يجعل العلاقة بين "الأنا" والأنتنة" متبادلة ومتكاملة ومن بين تأملاته العميقة حول علاقة "الأنا" بـ "الأنت" ما يلي:¹

(1) العلو والمشاركة في الوجود

يربط مارسيل مفهوم "العلو" في الوجود بمبدأ الحضور والمشاركة، حيث يرى أن تحقيق هذا العلو لا يتم بشكل منفرد بل من خلال الارتباط الوجودي بالآخر ويقول إن "العلو يتحقق عبر الحضور والمشاركة"، مما يعني أن الارتقاء في الوجود لا يمكن أن يكون فعلاً ذاتياً منعزلاً بل هو نتاج تفاعل ديناميكي مع الآخر، هذا التفاعل يتجلى في الحضور المباشر لـ «الأنت»، الذي يصبح نقطة انطلاق لفهم الوجود بأبعاده الأعمق.

(2) من "الأنا" إلى "الأنت المطلق"

يوسع مارسيل هذا التحليل ليشمل سلسلة متصلة من العلاقات الوجودية تبدأ من "الأنا" وتمتد إلى "الأنت المطلق"، أي الله وفي هذا السياق يصبح الحضور متدرجاً ومتناسكاً: "أنا حاضر للآخر، والآخر حاضر لي، وأنا حاضر لله، والله حاضر لي" هذه السلسلة تعكس رؤية مارسيل للوجود كشبكة من الاتصالات الوثيقة التي تربط الذات بالآخرين وبالمطلق و "الأنا"، في جوهرها ليست كياناً منعزلاً بل هي كائن متصل يتحقق وجوده من خلال هذا الارتباط المتواصل.

(3) "الأنت" كحضور وجودي

في فلسفة مارسيل، يمثل "الأنت" الحضور المباشر الذي يتجاوز الموضوعية، حيث لا يُختزل الآخر إلى شيء يُدرَس أو يُمتلك بل هو شريك في تجربة المشاركة الوجودية هذا الحضور يتطور من العلاقة البينية بين الأفراد إلى العلاقة النهائية مع "الأنتنة المطلق" (الله)، الذي يمثل

¹ Marcel, Gabriel, Homo Viator, Introduction to A Metaphysic of Hope, Translated by: Emma Craufurd, Harper & Brothers, New York, 1962, P. 16.

قمة هذا التصاعد الأنطولوجي. يرى مارسيل أن إمكانية الاتصال بين "الأنا" والـ"أنتة" تتسامى تدريجياً حتى تصل إلى البعد الإلهي، مما يمنح الوجود بعده الروحي والميتافيزيقي¹.

بهذا المعنى، يقدم مارسيل في الإنسان الجوّال رؤية فلسفية ترى الوجود كتجربة علاقاتية تتطلب الحضور والمشاركة فـ "الأنا" لا تكتمل إلا من خلال "الأنتة"، وهذا الارتباط يمتد من الآخر البشري إلى "الأنت المطلق"، مما يجعل الوجود عند مارسيل عملية ديناميكية تتحقق عبر التواصل والانفتاح على الآخر في أبعاده الإنسانية والإلهية على حد سواء وهذا التصور يعكس عمق تفكيره في ميتافيزيقا الأمل حيث يصبح الآخر مفتاحاً لفهم الذات والارتقاء بها نحو الحضور الكامل.

2. القيم الإنسانية مقابل القيم الوظيفية

لتحقيق ذلك، التزم مارسيل بكسر الحواجز التي تفصل البشر، وذلك من خلال إعطاء الأولوية للقيم الإنسانية بدلاً من القيم الوظيفية التي يفرضها التطور التكنولوجي ويرى أن هذا ممكن فقط عندما يكون متجذراً في المطلق غير المشروط، أي الله، المانح للعلاقة الكاملة بين "الأنا" و"الأنتة"، فالعلاقة مع الله تتحقق من خلال التوجه نحو الآخر، حيث نجد الأنت الأبدية (الله) من خلال الآخر الفاني.

يركّز غابرييل مارسيل على طريقتين أساسيتين لتعامل الإنسان مع الآخرين، وهما بمثابة مقياس للعلاقات بين الذات (intersubjective Relationship):

1. "التوفر" (Disponibilité): وهو أن يكون الإنسان متاحاً ومتواجداً للآخرين، مفتوحاً، ومشاركاً لهم بموارده، مما يعزز السلام والمسؤولية الاجتماعية.

2. "عدم التوفر" (Indisponibilité): وهو العكس، حيث يكون الفرد غير متاح للآخرين، إما بسبب الكبرياء، أو لأنه يرى نفسه مجرد وظيفة في المجتمع، أو لأنه مأسور بالنظرة التقنية البحتة للحياة.

¹ Marcel, Gabriel, Homo Viator, Introduction to A Metaphysic of Hope, ibid, P. 17.

يرى مارسيل أن الإنسان لا يكون حرًا حقًا إلا عندما يكون مشاركًا في المجتمع، أي عندما يكون منفتحًا على احتياجات الآخرين. فالحرية ليست مجرد استقلال ذاتي، بل هي إدراك الإنسان لإمكاناته داخل إطار وجوده مع الآخرين وبهذا فإن ممارسة الحرية تدفع الإنسان إلى الوعي بلا معنى حياته في بعض الأحيان ومن ثم تحثه على السعي لإضفاء المعنى والهدف على وجوده.

3. أهمية التأمل في الحياة البشرية

يؤكد مارسيل أن التأمل (Réflection) ضروري للحياة البشرية، لأن الإنسان يميل دائمًا إلى توجيه مركز حياته نحو الخارج، سواء كان ذلك من خلال حب شخص ما، أو ممارسة رياضة، أو حتى الانغماس في الرذائل مثل القمار أو الجرائم. لذا، فإن التأمل هو جزء أساسي من الحياة، بل هو وسيلة يمكن من خلالها للإنسان أن يرتقي من مستوى وجودي إلى آخر.

4. مفهوم التأمل الأولي والثانوي

يرى مارسيل أن هناك نوعين من التأمل:¹

1. **التأمل الأولي (Primary Reflection):** وهو المرحلة التي يستخدم فيها الإنسان العقل والمنطق لفهم العالم الخارجي وتحليله وجعله مفهومًا على المستوى الذهني.

2. **التأمل الثانوي (Secondary Reflection):** وهو المستوى الذي يُعيد فيه الإنسان النظر في افتراضاته الأولية، ويدرك أن العالم ليس مجرد أشياء منفصلة، بل هو عالم مترابط يحتاج إلى مشاركة، التزام، وتأمل عميق.

في هذا المستوى الثاني، يتجاوز الإنسان الوجود الفردي المنعزل ويدخل في عالم الكينونة الحقيقي، حيث يصبح منفتحًا ومتجاوبًا مع الوجود من حوله. وهنا، يشدد مارسيل على أن الإنسان لا يمكن أن يكون منفصلاً عن جسده وعن مشاركته الفعالة في العالم، وأن الإدراك ليس مجرد وعي داخلي، بل هو تفاعل نشط مع العالم الخارجي، وانفتاح عليه.

¹ Marcel, Gabriel, Homo Viator, Introduction to A Metaphysic of Hope, ibid, P. 18.

5. خامسا: أهمية الفلسفة الوجودية لغابرييل مارسيل

تُعد نظرية مارسيل غير مجردة، بل هي مرتبطة بتجربة كل إنسان، حيث تساعدنا على التقدم وتعزز أهمية القيمة الجوهرية للإنسان، إضافةً إلى ضرورة الحفاظ عليها في ظل سعي المجتمع نحو التقدم التكنولوجي. كما تؤكد نظريته على أن التطور العلمي والتكنولوجي يجب أن يكون وسيلة لتعزيز كرامة الإنسان، وليس العكس، مما يُدكرنا بأن المجتمع لا يمكن أن يتطور إلا من خلال تطوير الأفراد أولاً.

يركز مارسيل على أهمية التعايش والتواصل رغم الاختلافات (وحدة في التنوع)، ويوضح أن الوجود التعاوني هو مفتاح النجاح، مما يعزز التفاهم المتبادل، والتسامح، والتكامل الاقتصادي والسياسي في جميع مجالات الحياة. ومن خلال فلسفته، يسلط الضوء على دور الفلسفة في المجتمع المعاصر، إذ تمنحنا حافزاً قوياً للمشاركة في العالم مع مراعاة مصلحة الآخرين. كما أنها تقدم حلولاً لمشاكل الوضع الإنساني، مما يجعلها مصدراً للأمل والإلهام للعقول الإيجابية.

ثالثا: التحليل الأنطولوجي الوجودي لغابرييل مارسيل

في فلسفة غابرييل مارسيل يبرز مفهوم "سر الوجود" كمحور أنطولوجي لا يمكن للإنسان إدراكه أو تفسيره لذاته إلا من خلال الانفتاح على بعده المتعالي أو "العلو" يقدم مارسيل تحليلات وجودية دقيقة تكشف عن هذا السر من خلال ظواهر مثل الأمل والحب والوفاء التي تُعد تجارب متميزة تُتيح اقتراباً أكثر تحديداً ووضوحاً من جوهر الوجود حيث يرى مارسيل أن هذه التجارب تُظهر وجود "ثابت أنطولوجي" في الإنسان أي جوهر دائم يتجاوز التفسيرات المادية أو العقلانية المجردة.

تستمد الظواهر الوجودية وفق مارسيل أساسها من الوجود ذاته حيث تشارك فيه بطرق متعددة تمهد السبيل نحو فهم الوجود المطلق وهذه الظواهر ليست مجرد انعكاسات سطحية بل هي تعبيرات حية تكشف عن عمق الوجود وتربطه بالمتعالي وفي كتابه سر الوجود يؤكد أن "التفكير في الوجود هو في نهاية المطاف التفكير في استحالة التعارض بين الوجود وظواهره". هذا التصور يعكس رؤيته للوحدة الأنطولوجية بين الوجود ككلية وبين تجلياته في التجارب الإنسانية

مما يكشف عن مفارقة جوهرية: الوجود يظل سرًا لا نهائيًا، لكنه في الوقت ذاته يتجلى بوضوح في الظواهر الملموسة.

1. الأمل Hope

في كتابه الإنسان الجوّال مقدمة في ميتافيزيقا الأمل يطرح غابرييل مارسيل مشروعاً فلسفياً طموحاً يسعى إلى بناء فينومينولوجيا وميتافيزيقا شاملتين للأمل متأسسا على تصور إيماني يرى الكون كفضاء مفتوح للمعنى والإمكانية بعيدا عن الاختزال المادي أو الحتميات الميكانيكية ينظر مارسيل إلى الأمل ليس كحالة عاطفية عابرة أو رد فعل ظرفي بل كفلسفة حية تجسد ديناميكية التقدم والفعل الإنساني.¹

في هذا السياق يُعرّف الأمل كالتركيب الطبيعي للمصير البشري أي كجوهر متأصل في الوجود الإنساني يتجلى في الإصرار الدائم على رفض التسليم وفي السعي المستمر لتجاوز العقبات إنه ليس مجرد أداة للصمود بل موقف وجودي يُعيد تشكيل العلاقة بين الذات والعالم حيث يصبح التغلب على التحديات فعلا إبداعيا يُعزز من حضور الإنسان في الكون يوضح مارسيل في الإنسان الجوّال أن الأمل يمتلك بعدا متميزا يتجاوز التسليم السلبي مشيرا إلى أن هناك في الأمل شيئا يذهب أبعد من التسليم لكنه يرفض أن يُختزل إلى مجرد رفض أو تمرد عدائي بدلا من ذلك يصفه كموقف إيجابي يحمل طابعا بّناء يمنح الإنسان القدرة على مواجهة الواقع دون الاستسلام له وفي الوجود والملك يعترف بصعوبة الإحاطة بتعريف محدد للأمل ملاحظا مفارقة عميقة الظروف التي تجعل الأمل ممكنا هي نفسها التي تُغذي اليأس هذه المفارقة تكشف عن التوتر الأنطولوجي المتأصل في التجربة الإنسانية حيث يقف الأمل واليأس كوجهين لعملة واحدة متشابكين في ظروف الحياة التي تُحدد مصير الذات .

يرى مارسيل الأمل كقوة إبداعية مركزية تُمكن الإنسان من المشاركة في ما يسميه الملحمة الكبرى للوجود وهي السردية الشاملة التي يساهم فيها كل فرد بصفته فاعلا أخلاقيا وميتافيزيقيا من خلال الأمل يكتسب الإنسان كرامة متجاوزة إذ يصبح أداة لتحقيق ذاته وتأكيد شخصيته في مواجهة العالم يتغذى هذا السلوك على إقبال حيوي على الحياة وحماس داخلي يرفض

¹ ريجيس جوليقييه: المذاهب الوجودية من كير كجور إلى جان بول سارتر، ص 290

الخضوع للظروف القاهرة مما يجعل الأمل تعبيرا عن الحرية الإنسانية في أسمى صورها أكثر من ذلك يمنح الأمل القدرة على إعادة تأويل المحنة سواء كانت ألما أو موتا ليس كعناصر تدميرية بل كفرص لتحويل الوجود إلى حالة أكثر اكتمالا وغنى.¹

يربط مارسيل هذه القدرة التحويلية بطبيعة الوجود غير المنضبط أي قدرته اللامتناهية على التجدد والانفتاح على إمكانيات جديدة مما يجعل الأمل ليس رد فعل للحظة بل موقفا أنطولوجيا يستند إلى جوهر الوجود ذاته من منظور أعمق يؤكد مارسيل في فلسفة الوجود على الطابع الأنطولوجي للأمل واصفا إياه بأنه شعور محرر يتيح للإنسان الاعتراف بوجود سر أنطولوجي يتجاوز الحدود المادية والعقلية التقليدية هذا السر في نظره هو القوة الوحيدة القادرة على تحرير الذات ودفعها نحو انطلاق ميتافيزيقي.²

2. الوفاء Fidelity

في كتابه فلسفة الوجود يعبر غابرييل مارسيل عن تعقيد مفهوم الوفاء مشيرا إلى أنه يصعب فهمه وتعريفه نظريا بسبب المفارقة العميقة الكامنة فيه التي تتحدى التحليل العقلي التام ويضعه في صلب الإشكالية الميتافيزيقية قائلا إن الوفاء ليس انسياقا عاجزا بل إقرارا فعالا بشيء أبدي يتماشى مع قانون أنطولوجي يشير دائما إلى الوجود أو إلى ما يمكننا صونه داخلنا ويحذر من أن طمس هذا المعنى أو تجاهله يشكل خيانة للوجود مؤكدا أن هذا الطمس هو ما يخيم على عالمنا المعاصر بأسره في هذا السياق يصبح الوفاء تعبيرا عن المحافظة على أولوية الوجود والقيم التي يجسدها.³

ويواصل مارسيل في فلسفة الوجود تأكيده على أن الوجود سر بطبيعته والوفاء هو الاستمرار الفعال لهذا الوجود مما يجعله أنطولوجيا في أصله إذ يضفي صفة الاستمرارية على الوجود ويعمق تأثيره ويبرز الوفاء في المشاركة خاصة في الرابطة غير القابلة للنضوب بين الأحياء والموتى وهكذا يصبح الوفاء تجربة تكشف عن معنى الوجود الذاتي يصف مارسيل الوجود

¹ Marcel, Gabriel, Being and Having, ibid, P. 74, 93

² Marcel, Gabriel, Homo Viator, Introduction to a Metaphysic of Hope, 1959, P38.

³ فؤاد كامل: فلاسفة وجوديون، سلسلة مذاهب وشخصيات، العدد 40، مطابع الدار القومية، القاهرة، 1965م ص 77

الحقيقي كنوع من التدفق ينفذ خلالنا والوفاء يضعنا في حالة إبداع خلاق يتجلى من خلاله هذا الوجود بعيدا عن أي بعد مادي بل ككتام داخلي¹ ليتحقق كوجود فعال يشير إلى تبادل غامض بين الوفاء كفعل حر والهبة التي تُمنح له استجابة للوجود هذا الوجود الممنوح كحضور لا يمكن إدراكه إلا إذا كان ماثلا أمام الذات لكنه من خلال الوفاء يتجاوز الحضور ليصبح ماثلا داخلها في هذا السياق يرتفع صوت الوفاء معلنا إذا لم أستطع رؤيتك أو لمسك فإنني أشعر بك داخلي.

بناء على هذا يمكن القول بأن الوفاء هو شهادة الوجود إذ يتسم بمقاومته للغياب والموت ولا يتحقق إلا في مستوى معين من العلو في الوجود.

3. الحب Love

يتجلى الحب كتجربة أنطولوجية مركزية تتجاوز الحدود العادية للعلاقات البشرية لتصبح بوابة لفهم سر الوجود ذاته يعرف مارسيل الحب في جوهره كإخضاع الذات لحقيقة أسمى تتجاوزها حيث يعمل الحب على تفكيك التوتر الذي يفصل بين الأنا والآخر ليحل محله حضور متبادل يكشف الحب عن وجود الآخر بجعله حضورا بالنسبة لي فيما أصبح أنا حضورا بالنسبة له في علاقة مباشرة تجمع بين "أنا" و"أنت" هذا الحضور لا يقتصر على البعد الجسدي المادي بل يتجاوزه لأن الحب يمتلك القدرة على تحويل الموضوع إلى ذات وإضفاء نوع من الحضور على الغائب مرتبط بوجودنا الشخصي عندما نواجه الشخص المحبوب لا يمكننا اختزاله إلى مجرد "هو" حتى في غيابه لأننا نستمر في التفكير فيه كـ"أنت" مما يجعل غيابه نفسه حضورا في صميم التجربة الوجودية².

يصف مارسيل الحب كسر من أسرار الوجود لأنه يربطني بكل كياني ووجودي مكشفا عن الوجود في أعماق أبعاده ومفتتحة قنوات التواصل مع الآخر بأكثر أشكالها اكتمالا وعمقا في

¹ تنام داخلي: عبارة استخدمها غابرييل في سياق حديثه عن الوفاء في فلسفة الوجود وهي كلمة تحمل دلالة فلسفية عميقة تتعلق بتصوره للوجود كتجربة حية وديناميكية وهي تشير الى عملية نمو او تطور عضوي يحدث ضمن الذات بعيدا عن أي مفهوم مادي جامد.

² زكريا ابراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، ج(1)، ص 499.

كتابه سر الوجود يؤكد أن "الحب هو الرفض الفعّال للاقتصار على الذات" مشيراً إلى أن الحب يتجاوز الأنانية ليصبح فعلاً تحريراً يفتح على الآخر وفي فلسفة الوجود يضيف أن "الحب هو نقطة البدء لفهم سر العلاقة بين النفس والجسم" معبراً عنه كتجسيد لهذه العلاقة الغامضة يرى مارسيل أن الحب يتيح لنا مواجهة الوجود دون اختزاله إلى ملكية أو موضوعية مما يشكل المعطى الأنطولوجي الأساسي في هذا السياق يقول في فلسفة الوجود إن "جوهر الحب بقدر ما هو موجود هو أن أشعر بأن وجودي مبرر" موضحاً أن الحب يمنح الوجود معنى الامتلاء والوفرة كحالة من الغنى الداخلي.

في رؤيته الأنطولوجية يصبح الحب عند مارسيل مفتاحاً لفهم العلاقة بين النفس والجسم لأنه يتجاوز الثنائية التقليدية بينهما في الحب تتجلى الذات كحضور للآخر والآخر كحضور للذات مما يخلق وحدة وجودية تتجاوز الفصل المادي أو الموضوعي يبرز الحب كرفض للانغلاق على الذات وكدعوة للانفتاح على الآخر سواء كان هذا الآخر شخصاً محدداً أو تعبيراً عن المطلق الإلهي في هذا السياق يمكن القول إن الحب عند مارسيل هو تجربة تحررية تُعيد تشكيل الوجود كامتلاء ووفرة وتُكشف عن سره العميق كعلاقة متبادلة.

4. الموت Death

تأمل غابرييل مارسيل تأملاً عميقاً حول الموت في كتابه فلسفة الوجود معتبراً إياه ليس مجرد نهاية بل انفتاحاً على الوجود في بعده الأكثر روحانية يصف الموت كاختبار حقيقي للوجود ونقطة أساسية تتطلب تأملاً دقيقاً يرى أن الموت يعبر عن الوجود في أعلى مستوياته الروحية التي يمكن للإنسان بلوغها موضحاً هذا التمييز بمثال عملي عندما يقرأ خبر وفاة شخص في صحيفة فإن هذا الحدث لا يتجاوز كونه إعلاناً مجرداً بالنسبة له مجرد اسم بلا حضور أما عندما يتعلق الأمر بوجود منح كحضور شخصي فإن الموت يصبح تجربة مختلفة تماماً تحمل دلالات أنطولوجية عميقة.¹

يفرق مارسيل بين مستويين للتعامل مع الموت عندما يهتم الإنسان بموته الخاص أو بموت الآخر في إطار الملكية فإنه يصبح أسير قلق وجودي نابع من رهبة الموت لكن عندما يُنظر

¹ Marcel, Gabriel, The Mystery of Being II, (Faith & Reality), ibid, P146

إلى الموت كسر ملغز على مستواه الحقيقي فإنه يتجرد من طابعه المفزع ويتحول من شر يُخشى إلى مدخل لبعد آخر للوجود يصبح الموت في هذا السياق انفتاحا على وجود أكثر امتلاء حيث تتلاقى اللحظة الوجودية مع الآن الخالدة ويظهر كأنجاز وليس كخسارة في كتابه الوجود والملك يؤكد مارسيل أن الموت يمثل نقطة انطلاق لأمل مطلق مما يعكس رؤيته للموت كبداية محتملة وليس نهاية قاطعة.

ويذهب إلى أبعد من ذلك في سر الوجود مشيرا إلى أن انتصار الموت كما يظهر في العالم هو انتصار ظاهري فقط وليس له الكلمة الأخيرة في الحياة يقول إن للموت علاقة بالحياة لكن هذا الجانب يظل محجوبا عنا مما يبرز طبيعته كسر لا يمكن اختزاله إلى مجرد واقعة مادية يدعو مارسيل إلى التسليم بالموت كجزء من أسرار الوجود مع التأكيد على ضرورة التحرر من وطأته الظاهرية فيصبح الموت تجربة مملوءة بالمعنى الوجودي بدلا من أن يكون مصدرا للخوف أو العدم.

5. الحرية Freedom

في ختام الجزء الثاني من كتابه سر الوجود يبرز غابرييل مارسيل أن فلسفة الوجود هي بالضرورة فلسفة حرية حيث يشكل مفهوم الحرية محورا أساسيا في تفسير دلالة الخبرة الحية أو التجربة العينية في نسقه الفلسفي يستهل مارسيل هذا الختام بطرح سؤال جوهرى ينبع من واقع تجربته المعيشة ما هي الحدود التي يمكنني من خلالها أن أؤكد أنني وجود حر يواجه هذا السؤال إلى ذاته مؤكدا أنه لا يقبل إجابة خارجية إلا إذا انسجمت مع إجابته الداخلية ليصبح في النهاية تعبيراً عن تأملاته الشخصية يعترف مارسيل بالصعوبة الكامنة في هذا التساؤل مشيرا إلى أن مجرد طرح السؤال يجعله مشاركا في إشكالية الحرية ذاتها مما يبرز طابعها التفاعلي والداخلي¹.

يؤكد مارسيل أن الحرية لا تتكشف إلا عندما تتجه الذات نحو داخلها فعندما أقبل موقفى الإنسانى بحرية وأجعل حياتى متماهية مع اختياراتى كشخص فإن أفعالى تتكامل عضويا ضمن كلية وجودى تتجلى الحرية هنا فى فعل الاختيار الذى يعكس إرادة الذات ومسؤوليتها

¹ زكريا إبراهيم: دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ج(1)، ص501

يوضح مارسيل أن عبارة أفعل ما أريد تحمل غموضاً لأن الحرية الحقيقية لا تكمن في الانصياع للرغبة العفوية بل في توظيف الإرادة لتتجاوز الرغبة وتتجسد في أفعال تشكل جزءاً من الواقع والحقيقة مع تحمل المسؤولية الكاملة عنها يرفض مارسيل تصور الحرية كشيء خارجي يمكن ملاحظته أو مراقبته كحقيقة موضوعية بل يراها قراراً داخلياً ينبع من الذات دون استناد إلى سلطة خارجية يشدد على أن الحرية تتأكد من خلال قوة الرفض والوعي الذاتي الذي يصاحبها مما يجعلها تجربة حية وليست مجرد مفهوم مجرد.

في سياق فلسفته يقرر مارسيل أن الحرية تظهر في مجال السر وليس في مجال المشكلة موضحاً أنها سر من أسرار الوجود لكونها متضمنة في عمق الفكر الذي يسعى لفهمها إنها حقيقة باطنية تشكل القرار الداخلي للذات الإنسانية تتجلى هذه الحرية بشكل خاص في قدرة الذات على خلق نفسها بنفسها وفي نزوعها المستمر نحو العلو على ذاتها يرى مارسيل أن الذات ليست واقعة ثابتة أو موضوعاً جامداً بل هي حرية في جوهرها لا تستطيع الذات أن توجد دون أن تتجاوز نفسها وهذا التجاوز ليس سوى حركة ديناميكية مستمرة نحو وجود أكثر أصالة وحقيقة.

خلاصة

يتبين من خلال هذا الفصل أن الفلسفة الوجودية لم تنشأ في فراغ، بل جاءت كتعبير عن أزمة وجودية عاشها الإنسان الغربي في سياق تاريخي حافل بالتحويلات السياسية والاجتماعية والفكرية. لقد قامت هذه الفلسفة على أسس ثلاثة محورية: أسبقية الوجود على الماهية، والذاتية، والحرية، وجعلت من الكائن الإنساني مركزاً للاهتمام، بوصفه كائناً واعياً، حرّاً، ومسؤولاً عن وجوده ومعناه، كما ظهر من خلال التحليل أن الوجودية، رغم تعدد تياراتها، قد اتفقت على رفض الفلسفات التقليدية ذات الطابع الماهوي، والتي اختزلت الإنسان في مفاهيم عامة ومجردة، مما أفقده طابعه الحي والفردى. وقد شكّلت هذه الرؤية الخلفية النظرية التي انطلق منها العديد من المفكرين الوجوديين، ومن بينهم غابرييل مارسيل، الذي أضفى على الوجودية بعداً روحياً وشخصياً يميز فلسفته عن غيره من ممثلي هذا الاتجاه.

ومن هنا، يمثّل هذا التأسيس الفكري مدخلاً ضرورياً لفهم البناء الفلسفي عند مارسيل، خصوصاً في ما يتعلق بتصوره للوجود الإنساني كعلاقة، وكمعاناة، وكأمل. وهو ما سيتم التطرق إليه بتفصيل أوسع في الفصول اللاحقة من هذه الدراسة.

الفصل الثاني:

مفهوم فلسفة الوجود عند

غابرييل مارسيل

مقدمة

يُعدّ مفهوم الوجود الإنساني من القضايا الجوهرية في الفلسفة الوجودية عمومًا، وفي فكر غابرييل مارسيل على وجه الخصوص، إذ يُعيد مارسيل مساءلة الكينونة الإنسانية في عالم يتجه تدريجيًا نحو التفكك والاعتراّب وقد سعى إلى إعادة الاعتبار للبعد الروحي والعلائقي في الوجود، متجاوزًا النزعة العقلانية والموضوعية التي اختزلت الإنسان في كونه مجرد وظيفة أو موضوع. ينطلق هذا الفصل من الإشكالية المركزية التي تشغل مارسيل: كيف يمكن للإنسان أن يحافظ على إنسانيته في عالم مكسور تغلب عليه التقنية ويتهدد فيه المعنى؟ ومن خلال مقارنة تأملية تنخرط في عمق التجربة الإنسانية، يستعرض هذا الفصل أبعاد الوجود عند مارسيل، من التوتر الداخلي والانفتاح على الآخر، إلى العلاقة بين الفرد والجماعة، وانتهاءً بتجربة الأمل باعتبارها أفقًا وجوديًا وعمليًا يفتح الذات على ما يتجاوزها نحو المعنى والوفاء.

المبحث الأول: الوجود الانساني بين الصراع الداخلي والعلاقة بالآخر

إنّ الحديث عن الوجود الإنساني في فلسفة غابرييل مارسيل لا يمكن فصله عن التوتر العميق الذي يعيشه الإنسان بين داخله المضطرب وعلاقاته بالآخرين. فالذات، في منظور مارسيل، ليست كياناً مغلقاً على نفسه، بل هي تتكشف وتتحرّق ضمن مسار من التفاعل والتأمل والمعاناة ونسعى في هذا المبحث الى الكشف عن طبيعة هذا الصراع وتبيان كيف يدمج مارسيل بين البعد الشخصي والبعد العلاقي في إطار رؤيته للوجود كخبرة حية ومفتوحة على الأمل والآخر.

المطلب الأول: الوجود الانساني بين التوتر الداخلي والانفتاح على الآخر في فلسفة غابريال مارسيل

يعدّ غابريال مارسيل من أبرز فلاسفة الوجودية المؤمنة في القرن العشرين، حيث قدّم تصوّراً فريداً للوجود الإنساني قائماً على البحث عن المعنى في عالم يتسم بالانكسار والاعتراب. وقد عالج مارسيل ثنائية جوهرية في حياة الإنسان، تتمثل في التوتر الداخلي الناتج عن الاعتراب عن الذات، من جهة، وفي الانفتاح على الآخر باعتباره شرطاً جوهرياً لتحقيق الذات والوجود الحقيقي، من جهة أخرى. وينطلق مارسيل في تحليله من تجربة الذات الحيّة، ومن معايشة العالم كمكان للسرّ لا كمجرد موضوع للتحليل.¹

أولاً: التوتر الداخلي في عالم مكسور

ينطلق مارسيل من ملاحظة عميقة مفادها أن الإنسان يعيش في عالم مكسور، تسوده النزعة الأداتية، ويطغى فيه التشييء على الحضور الإنساني. ففي هذا العالم، أصبحت هوية الإنسان مرتبطة بوظيفته ومركزه الاجتماعي وممتلكاته، مما يؤدّي إلى طمس الجوهر الأصيل للكائن البشري، وبالتالي إلى شعور وجودي بالعزلة والفراغ.

¹ S. Arul Kulandai Theresa, Being Human in the Perspectives of Gabriel Marcel and its Relevance today, INTERNATIONAL JOURNAL OF CREATIVE RESEARCH THOUGHTS (IJCRT) An International Open Access, Peer-reviewed, Refereed Journal, Volume 11, Issue 2 February 2023, p 748,750

وقد صوّر مارسيل هذا الوضع الوجودي المأساوي بقوله:

“ألا تشعر أحياناً أننا نعيش... إذا جاز أن نسمّي هذا عيشاً... في عالم مكسور؟ نعم، مكسور مثل ساعة مكسورة. النابض الرئيسي توقّف عن العمل. إن نظرت إليها، لا شيء تغيّر. كل شيء في مكانه. ولكن إن قربت الساعة من أذنك، فلن تسمع أي صوت لنبضها. أنت تعرف عما أتكلم: العالم، ما نسميه العالم، عالم الكائنات البشرية... يبدو لي وكأنه كان يملك قلباً في وقت ما، لكن اليوم يمكن القول إن هذا القلب قد توقّف عن النبض.”

يعبّر مارسيل عن انعدام الحيوية الروحية في العالم المعاصر، ويشير إلى أن المظاهر لا تعبّر عن الجوهر، فالعالم قد يبدو سليماً ظاهرياً، لكنه يعاني من فقدان المعنى، ومن توقف “القلب الوجودي”.

ثانياً: الانفتاح على الآخر كتحقيق للكينونة

في مواجهة هذا الانكسار الداخلي، يؤكّد مارسيل على أن الإنسان لا يستطيع أن يوجد إلا من خلال الانفتاح الحقيقي على الآخر. فطبيعة الكائن البشري، كما يراها، هي في الأصل “وجود مع الآخرين” (être-avec-les-autres). يقول:¹

“من طبيعة كياني نفسه أن أكون كائناً مع الآخرين.”

ويتابع:

“هناك ألم واحد فقط، وهو أن تكون وحيداً.”

هذا البعد التواصل للوجود يُبرز أن العزلة نفي للكينونة، وأن الكائن الإنساني لا يتحقق إلا من خلال اللقاء، والمشاركة، والتوافر للآخر. من هنا يبرز مفهوم “التوفّر” (disponibilité) الذي يشكّل أحد أهم مفاهيم مارسيل، ويُقصد به أن يكون الإنسان حاضراً بالكامل من أجل الآخر، لا فقط بجسده بل بروحه ونيته ومحبته الصادقة.

¹ S. Arul Kulandai Theresa, Being Human in the Perspectives of Gabriel Marcel and its Relevance today, volume 11, 2, February, 2023 ,p750

ثالثاً: من المشكلة إلى السر

يميز مارسيل بوضوح بين "المشكلة" و"السر". فالمشكلة هي ما يُنظر إليه من الخارج، ويمكن للذات أن تحلّه دون أن تكون منخرطة فيه.

أما السرّ فهو ما ينخرط فيه الكائن الإنساني وجودياً، ويعبر عن عمق لا يدرك عقلاً بل يُعاش. يقول:¹

“بإمكانني أن أمتلك مشكلة، ولكنني في جوهر سرّ، لأن أسراري تتعلق بكينونتي.”

بهذا، لا يمكن فهم الإنسان من الخارج كما تُفهم الآلات أو الموضوعات، بل من خلال الانخراط الوجودي في ذاته ومع الآخر ومع الله وهذا التمييز يقودنا إلى الإيمان، باعتباره أفقاً مفتوحاً على ما يتجاوز الموضوعي والعقلي.

رابعاً: الجسد والوجود المجسّد

يرفض مارسيل النظرة الاختزالية للجسد على أنه مجرد أداة أو ملكية. بل يرى أن الجسد هو الذات نفسها المتجسدة، ويقول:

“أنا جسدي.”

في هذا السياق، يُفهم الإنسان كوحدة متكاملة من الجسد والروح، بحيث لا يمكن فصل الذات عن جسدها دون الوقوع في التشيي. وهذا يعني أن الإنسان المتجسد هو كائن حي لا يدرك من الخارج فقط، بل من خلال حضوره الشخصي وعلاقته بالآخرين.

خامساً: من التوتر إلى المشاركة والوفاء

تتحقق الخروج من التوتر الداخلي والانغلاق إلى الانفتاح الحقيقي عبر مفاهيم المشاركة (la participation)، والوفاء (la fidélité)، والقيمة (la valeur)، ويؤكد مارسيل أن القيمة لا يمكن فصلها عن الكينونة:²

¹ S. Arul Kulandai Theresa, Being Human in the Perspectives of Gabriel Marcel and its Relevance today, ibid , p749

² Gabriel Marcel's Theory of Religious Experience, New York: Peter Lang Inc. 1995, p59

“القيمة المتجذرة في الكينونة لا يمكن اعتبارها منفصلة عنها.”

من خلال المشاركة الصادقة والوفاء، يخرج الإنسان من التوقع على الذات نحو الانفتاح على السرّ، على الغير، وعلى المتعالي أي الله. ويصبح الإيمان، إذًا، دعوة للمشاركة في الكينونة، لا مجرد تسليم عقلي.

المطلب الثاني. الوجود بين الكائن الفردي والوجود الجماعي

تُعد مسألة العلاقة بين الفرد والجماعة من القضايا المحورية في فلسفة غابرييل مارسيل الوجودية، حيث ينطلق من تجربة الوجود الإنساني باعتباره دائمًا وجودًا مع الآخر، وليس وجودًا منفردًا معزولًا. يؤكد مارسيل أن الذات لا تتحقق إلا في علاقة حية متبادلة تُعبّر عن “نحن موجودون”، وأن هذه العلاقة لا تلغي خصوصية الفرد بل تُثري وجوده. في هذا المطلب، نستعرض هذه العلاقة من خلال ثلاثة فروع رئيسية تتناول الوجود كعلاقة متبادلة، مشكلة معرفة الآخر، والتأثير الوجودي للعلاقة بين الذات والآخر.

الفرع الأول: الوجود كعلاقة متبادلة بين الذات والآخر

يُعيد مارسيل تصوّر الوجود الإنساني بعيدًا عن الأنطولوجيا التقليدية التي تركز على الذات الفردية المعزولة، ليؤكد أن الوجود الحقيقي هو “الوجود بين الذوات”. يقول مارسيل:¹

«إننا لا نكون أبدًا وحدنا. “أنا” لا توجد إلا من خلال “نحن”».

وهذا يعني أن الذات لا تظهر وجودها إلا في التوافر المتبادل مع الآخر، وهو مفهوم يعبر عنه بالانفتاح أو التوافر الذي يجعل اللقاء بالآخر تجربة أصيلة تتجاوز مجرد الملاحظة أو الحكم العقلي. بهذا المعنى، ينص مارسيل:

«التوافر هو فعل السماح للآخر بأن يكون، دون محاولة السيطرة عليه أو تحليله».

ويضيف أن هذا التوافر يخلق نوعًا من الوحدة الوجودية التي تحترم خصوصية كل طرف:

¹ Elodie Malbois, Gabriel Marcel: Intersubjectivity as Reciprocal Availability, Penultimate draft, please quote the published version: "Gabriel Marcel: Intersubjectivity as Reciprocal Availability", in Phenomenological Approaches to Intersubjectivity and Values, Luis Aguiar de Sousa and Ana Falcato eds., Cambridge Scholar Publishing: Cambridge, 2019, p3

«في اللقاء الحقيقي، نصبح معًا، لكننا لا نفقد ذاتنا».

تظل الذات حرة، ولا تُفقد خصوصيتها في الوحدة، بل تتحقق ضمن إطار الاحترام المتبادل والحرية.

الفرع الثاني: مشكلة معرفة الآخر وتجربة الوجود المشترك

تناول مارسيل المشكلة الفلسفية القديمة المتعلقة بمعرفة الآخر، التي يطلق عليها مشكلة «الأذهان الأخرى». ينتقد مارسيل النظرة الشكية التي تقول إن وجود وعي الآخر لا يمكن التأكد منه إلا عن طريق الاستنتاج العقلي أو الظن، ويعتبرها:¹

«نمطًا من العمى المتعمد تجاه الحقيقة التي تفرضها العلاقة الحية».

بالنسبة له، الوعي بالآخر ليس موضوعًا فكريًا بل تجربة مباشرة، ويوضح:

«أنا أعرف الآخر بوجوده الحي، لا من خلال تمثيل أو افتراض».

وبالتالي، يتجاوز مارسيل الفهم الأبستمولوجي المعتاد ليؤكد أن الوجود المشترك هو معرفة وجودية تنبع من تجربة توافر الذات للآخر، وهي تجربة لا تتطلب إثباتًا منطقيًا. ويقول:

«في العلاقة الحقيقية، هناك معرفة غير قابلة للشك، معرفة بالوجود الحي للآخر».

كما يشير إلى أن هذا الوعي يتطلب مستوى من التوافر المتبادل، حتى في حالات انشغال أحد الطرفين بذاته:

«حتى عندما يغيب الآخر بذاته، يظل موجودًا لي إذا كنت متوافرًا له».

الفرع الثالث: التأثير الوجودي للعلاقة بين الذات والآخر

يرى مارسيل أن العلاقة بالآخر ليست مجرد انعكاس للذات، بل هي فضاء يتشكل فيه الوجود الحقيقي والهوية. يقول:²

«الذات لا توجد في فراغ، وإنما في حضور الآخر الذي يمنحها معنى».

¹ Marcel Gabriel, le mystère de l'être, vol2 1950, p208

² Elodie Malbois ,Gabriel Marcel: Intersubjectivity as Reciprocal Availability, 2019, p 13-17

فالهوية تتبلور في التفاعل مع الآخر، وهو ما يجعل من العلاقة تجربة وجودية أكثر منها اجتماعية بحتة. يضيف مارسيل:

«لا يمكن للإنسان أن يكون موجودًا بصدق إذا لم يكن الآخر موجودًا معه».

ويتجنب مارسيل التطرف في فهم العلاقة، حيث يرفض تجريد الآخر أو الغائه، ويؤكد ضرورة احترام الآخر كذات حرة مستقلة:

«الآخر هو الغيرية التي لا تُلغى، ولكنها تُحترم في وجودها وتمايزها».

ويعارض الفلسفة التي ترى الآخر كغريب لا يمكن التواصل معه (كما عند ليفيناس)، بالقول: «لو كان الآخر غريبًا تمامًا، لما كان اللقاء ممكنًا، والاعتراف بالآخرية يفترض نوعًا من التماثل».

هذا التوازن بين احترام التمايز والاعتراف بالتماثل الجزئي هو ما يجعل العلاقة الوجودية ممكنة وحقيقية، وتُعزز من معنى الوجود الإنساني المشترك.

المطلب الثالث: سمات الوجود الفردي وفكرة السر عند غابرييل مارسيل

يشكل مفهوم السرّ (Mystery) أحد المرتكزات الأساسية في فلسفة غابرييل مارسيل الوجودية، ويعبّر بواسطته عن عمق التجربة الإنسانية وفرادتها، في مقابل المفاهيم الأداة والعقلانية التي تُحيل الإنسان إلى كائن ميكانيكي أو مجرد وحدة قياس عقلية. ومن هذا المنطلق، يبرز عند مارسيل تمييز دقيق بين مفهومي "المشكلة" و"السر"، اللذين يمثلان طريقتين مختلفتين تمامًا للتعامل مع الواقع الوجودي للإنسان.¹

يرى مارسيل أن الإنسان يعيش في "عالم متكسر" (broken world)، وهو عالم يغلب عليه الطابع التقني والعقلاني الذي يملؤه بالمشكلات، ويمنع في ذات الوقت أي فسحة للتأمل في "السر". فالمشكلة بالنسبة له، هي شيء يُواجهه الإنسان من الخارج، ويقع بكامله أمامه بحيث يستطيع أن يعالجه بالأدوات أو التقنيات المناسبة. أما السر، في المقابل، فهو مجال يكون فيه

¹ Marcel, G, the Philosophy of Existentialism Trans. By Manya Harari New York: Carol publishing Group, 1995, p 117

الإنسان "منخرطاً" وجودياً، فلا يعود التمييز بين ما هو داخلي وما هو خارجي ذا معنى أو صلاحية أولية.

ومن أهم خصائص السرّ أنه لا يُحلّ بتقنيات أو أدوات، كما تفعل المشكلة، بل هو ظاهرة يعيشها الإنسان ويتورط فيها على مستوى الكينونة. ففي حين تُعالج المشكلات بطريقة غير شخصية، ينطوي السرّ على مشاركة ذاتية عميقة وتورط وجودي حقيقي، بحيث لا يمكن للمرء أن يقف منه موقفاً محايداً. وقد لخص مارسيل ذلك بقوله: "السر هو مشكلة تتداخل مع معطياتها"، أي أنه لا يمكن فصله عن ذات الإنسان وعلاقاته وتجربته الحياتية.¹

ويظهر تميّز الوجود الفردي عند مارسيل من خلال هذه العلاقة الخاصة بالسرّ. فالإنسان، بوصفه ذاتاً عاقلة وحرّة ومسؤولة، لا يمكن اختزاله إلى مجرد موضوع خارجي، بل ينبغي تأمل وجوده بوصفه تجربة حية ومفتوحة على الغموض والدهشة. وهنا تتجلى خصوصية التجربة الفردية التي لا تُدرك إلا بالانخراط الكلي والشخصي، لا من خلال التجريد أو الموضوعية العلمية.

ويُعزز مارسيل هذا الطرح من خلال تمييزه بين نوعين من التفكير: التفكير الأولي (primary reflection)، وهو النمط التحليلي الذي يُجرى الظواهر ويبحث في بنيتها، ويعتمد التعريفات والحلول التقنية؛ والتفكير الثانوي (secondary reflection)، وهو النمط الذي يستعيد وحدة الخبرة الإنسانية ويعيد ربط الذات بعالمها ومعناها الداخلي. فالانعكاس الثانوي هو الأداة التي تكشف عن أسرار الوجود وتُضيء طريق الإنسان نحو الفهم الأصيل لذاته.

ويرى مارسيل أن هذا النوع من التفكير يمثل "الطريق الفلسفي الحقيقي"، لأنه يتيح تواصلًا أعمق مع الذات والآخر، ويمكن الإنسان من العبور إلى خبراته الإنسانية الخاصة، والتفاعل معها بوصفها أسراراً لا تُردّ إلى معادلات أو صيغ منطقية.²

¹ Marcel, G. The Philosophy of Existentialism Trans, Ibid, p 118

² Marcel, G. The Philosophy of Existentialism Trans, ibid, p 119

وعليه، فإن سمات الوجود الفردي عند مارسيل تتجلى في كونه وجودًا ينطوي على السرّ، ويتفاعل مع الواقع لا كمجموعة من المشكلات، بل كفضاء من الأسرار التي تتطلب الانخراط والتأمل والمشاركة الوجدانية. وهذه النظرة تُعدّ من أهم الملامح التي ميزت الفلسفة الوجودية عند مارسيل عن بقية تيارات الوجودية، خصوصًا تلك التي اتجهت نحو النزعة التشاؤمية أو الإلحادية.

المبحث الثاني. الوجود العملي الانساني عند غابريال مارسيل

المطلب الأول. العمل كترجمة للوجود الأصيل عند غابريال مارسيل

تُعتبر فلسفة غابريال مارسيل من أبرز المدارس الوجودية التي تناولت موضوع الوجود الإنساني من منظور العلاقة بين الذات والآخر، حيث يركز مارسيل على مفهوم "الوجود" بوصفه حالة تفاعلية وشاملة، تتجاوز مجرد "الامتلاك" للأشياء لتصل إلى التفاعل الحقيقي مع الذات والآخرين. ومن هنا، يمكن فهم العمل كترجمة حية للوجود الأصيل، إذ هو ممارسة تتضمن حضور الذات الكامل في العالم وفي علاقتها بالآخر.

الفرع الأول: الوجود والامتلاك مدخل لفهم العمل

يرى مارسيل أن الإنسان يختبر العالم بطريقتين: الأولى هي الامتلاك (Having)، والثانية هي الوجود (Being). فالامتلاك يشير إلى العلاقة الخارجية مع الأشياء، التي يمكن للإنسان أن يملكها ويتصرف فيها، مثل الجسد كأداة يستخدمها الفرد.¹ أما الوجود فهو علاقة أعمق وأصيلة تتضمن المشاركة الحية مع الآخرين والانخراط في تجارب الحياة الإنسانية (Marcel, 1949).

¹ Marcel, G. Being and Having, trans. by Katharine Farrer Westminster, UK. Dacre Press, 1949, p86

ويقول مارسيل إن الجسد هو مثال حي على العلاقة بين الوجود والامتلاك؛ إذ يمكن أن يُنظر إلى الجسد كشيء يمتلكه الفرد، لكن في نفس الوقت هو جزء من كينونته، وبالتالي لا يمكن فصله عنه.¹

هذا التداخل بين ما نملكه وما نحن عليه يفتح المجال أمام التفكير في العمل كفعل وجودي يتجاوز السيطرة على الأشياء إلى المشاركة الحقيقية في الوجود.

و من منظور مارسيل، العمل لا يُنظر إليه فقط كوسيلة لإنتاج أو تحقيق أهداف مادية، بل هو فعل وجودي يعكس الذاتية الحية للإنسان وتفاعله مع العالم والآخرين. فالعمل يمثل ساحة تتفاعل فيها الذات مع عالمها، ويُعبّر عن حرية الإنسان وإبداعه ومشاركته في بناء المعنى. هذا الفهم يتماشى مع رؤيته للوجود كحالة مشاركة، فالعمل هو الوسيلة التي من خلالها يُعبر الإنسان عن وجوده الأصيل في علاقته مع الآخرين ومع نفسه، إذ لا يمكن للوجود أن يتحقق بمعزل عن المشاركة والتفاعل.²

الفرع الثاني: العلاقة بين العمل والحرية والمسؤولية

يُعتبر العمل عند مارسيل تعبيراً عن الحرية الإنسانية، حيث يختار الفرد أن يكون فاعلاً ويشارك في العالم بدلاً من أن يكون مجرد متلقي أو متفرج. وهذه الحرية مرتبطة بالمسؤولية تجاه الذات والآخرين، فالعمل هو مكان تتجلى فيه الحرية ولكن ضمن إطار التزام أخلاقي تجاه المجتمع والعالم.³

وبذلك، يصبح العمل ترجمة حقيقية للوجود الأصيل، لأنه لا يقتصر على فعل مادي بل هو تعبير عن المشاركة الحقيقية، الذاتية، والحرية التي يملكها الإنسان في مواجهة العالم

المطلب الثاني: الالتزام والمسؤولية كجوهر للوجود العملي

¹ Marcel, G. The Philosophy of Existentialism Trans,ibid,p 119

² Marcel, G. Being and Having, trans, ibid, p89

³ Marcel, G. ibid, p90

يرى مارسيل أن الإنسان مدعو إلى الالتزام، لا بوصفه فعلاً اختياريًا عرضيًا، بل باعتباره استجابة وجودية لنداء الكينونة. ويعبر عن ذلك بقوله:¹

“الالتزام هو نوع من التورط الشخصي العميق، حيث أضع ذاتي بكاملها في موقف لا أستطيع فيه التراجع دون أن أخون معنى وجودي.”

إن الالتزام بالنسبة لمارسيل ليس مجرد تصرف خارجي، بل هو موقف داخلي نابع من الإيمان بكرامة الآخر، وبوجوب احترام حريته وتطلعاته. وهذا ما يجعل المسؤولية متلازمة مع الالتزام، إذ لا يمكن أن يكون الإنسان ملتزمًا بحق دون أن يشعر بمسؤوليته تجاه الآخر، سواء كان هذا الآخر فردًا أو جماعة.

ويلاحظ أن مارسيل يقف موقفًا نقديًا من النزعة التقنية والعقلانية التي تسلّعت فيها العلاقات الإنسانية، حيث أصبحت المسؤولية تُختزل في نتائج أو حسابات نفعية. ويرى أن الإنسان فقد بذلك إحساسه العميق بالمسؤولية الوجودية، التي لا تُختزل في نتائج عملية أو قانونية، بل في شعور داخلي يتصل بجوهر الوجود ذاته. ويؤكد ذلك بقوله:²

“المسؤولية ليست فقط عن أفعالنا، بل هي قبل ذلك عن وجودنا ذاته، عن كيف نكون مع الآخرين، ولأجلهم.”

ويرى مارسيل أن الالتزام والمسؤولية هما ما يمنحان الإنسان معنى حقيقيًا لوجوده، بعيدًا عن الاغتراب واللامبالاة التي باتت تطبع العالم الحديث. فمن خلال الالتزام، لا يبقى الإنسان متفرجًا على الحياة، بل يصير فاعلاً فيها، مندمجًا في نسيجها الأخلاقي والروحي. ومن خلال المسؤولية، يتحقق بعد النداء الداخلي الذي يربط الإنسان بالغير، ويجعله يعي أن حريته مرتبطة بحرية الآخر، وأن خلاصه الوجودي لا يتم إلا بالتواصل والتكافل.

¹ Marcel ،G. Being and Having ،trans ،ibid، p 56

² Marcel، homo viator، ibid، p102

بلغة مارسيل، فإن الإنسان ليس كائنًا مغلقًا على ذاته، بل هو مشروع انفتاح دائم على الآخر، والالتزام هو التعبير الأسمى عن هذا الانفتاح، لأن فيه "تجاوزًا للأنانية، ودخولًا في علاقة محبة ومسؤولة مع العالم"¹

و يرى أن الفعل هو جوهر الوجود العملي، ولا يمكن فهمه بمعزل عن الذات الفاعلة، أي الشخص الذي يتخذ القرار ويقوم بالفعل، فالفعل ليس مجرد حدث عابر أو رغبة عابرة، بل هو تعبير حقيقي عن وجود الإنسان في العالم. ويتضح من خلال هذا الفعل انخراط الذات بشكل كامل في الواقع، حيث يكون الفعل بمثابة جسر يربط بين الذات والعالم الخارجي، وفيه تتحقق الذات ككينونة حقيقية.

في فلسفة مارسيل، الفعل مرتبط ارتباطًا وثيقًا بمفهومي الالتزام والمسؤولية، إذ لا يوجد فعل بدون فاعل، ولا يوجد فاعل بدون التزام. فالذات الفاعلة هي ذات ملتزمة بفعلها، تتحمل تبعاته ونتائجه، ما يجعل الفعل تجربة وجودية متكاملة تتجاوز مجرد الممارسة إلى تأكيد الذات على ذاتها وعلى العالم. يتجلى ذلك في أن الفعل لا يمكن أن يكون مجانيًا أو منفصلًا عن المسؤولية؛ فالفاعل ملزم أخلاقيًا وإنسانيًا بتحمل تبعات أفعاله، سواء أكانت هذه النتائج محمودة أو مذمومة. فالالتزام هو عنصر ضروري لأن الفعل هو قرار واعٍ يعكس إرادة الإنسان الحرة، ويؤكد حرية اختياره وتمرده على الحتميات المادية والاجتماعية.

ومن جهة أخرى، يرتبط مفهوم الالتزام أيضًا بمفهوم الشخص عند مارسيل، حيث لا يمكن للذات أن تُفهم بوصفها مجرد "أنا" أو "ذات فردية" فقط، بل يجب فهمها كشخص له وجوده الحقيقي في علاقته بالآخرين. إن العلاقة بالغير ليست مجرد علاقة معرفية أو موضوعية، بل هي علاقة وجودية تؤكد انفتاح الذات على الآخر ومشاركته، وهذا الانفتاح هو الذي يمنح

¹ Marcel, being and having, ibid, p 61

الفعل أبعاده الإنسانية الحقيقية. فالمسؤولية هنا ليست فقط تجاه الذات، بل تجاه الآخر والعالم، حيث يصبح الفعل مشروعاً وجودياً متكاملًا يعكس حضور الذات في الحياة.¹ بذلك، يصبح الفعل عند مارسيل تعبيراً عن وحدة الوجود، حيث يندمج الالتزام والمسؤولية في صلب حياة الإنسان، ويصبح الفعل ترجمة حية للوجود الأصيل. ويمثل هذا الفعل الملتزم المسؤول جوهر الوجود العملي، الذي لا يمكن أن يفهم إلا في سياق المشاركة والاتصال بالآخرين، وفي إطار إدراك الإنسان لذاته كشخص مسؤول له دور فاعل في الحياة. وفي مقابل فلسفات الوجودية التي ركزت على عبثية الوجود أو العدمية، مثل كامو وسارتر، يبرز مارسيل بأفق أكثر تفاؤلاً حيث يربط الفعل بالإيمان، الأمل، والرجاء، كأفعال تعبر عن قدرة الذات على التجاوز والتواصل، ما يجعل الالتزام والمسؤولية عناصر مركزية في بناء حياة إنسانية متجددة وفاعلة.²

المطلب الثالث: الأمل والعلاقة مع الآخر كأفق للوجود العملي

يشكل الأمل عند غابرييل مارسيل محوراً وجودياً يتجاوز كونه مجرد انفعال عابر ليغدو نمطاً أصيلاً من أنماط الوجود، بل وأفقاً يكشف عن إمكانات الإنسان في علاقته بذاته وبالآخر. لا ينظر مارسيل إلى الأمل بوصفه توقعاً لنتيجة ما، بل بوصفه "انفتاحاً كونياً في مواجهة لغز الوجود الأكبر"، أي فعلاً روحانياً أصيلاً لا يخضع للحسابات أو التقديرات المادية.³ يرى مارسيل أن الأمل يتجلى في أحلك اللحظات، حيث لا تستطيع الوسائل المادية أن تعد بالخلاص. إذ يقول: "الأمل لا يمكن أن ينبثق من الطبيعة وحدها، بل لا يظهر إلا حيث تغيب الحسابات" وعليه، فإن الأمل لا يُختزل في تطلع نحو نتيجة محددة، بل في الاستجابة

¹ ريجيس جوليفيه: المذاهب الوجودية، من كير كيجورد إلى جان بول سارتر، ترجمة: فؤاد كامل، الناشر: دار الآداب، بيروت. ص 243

² المرجع السابق، ص 249

³ Dr. S. John Kaviarasul ،V. Michaelammal' and Dr. A. Amala Arokia Raj ،The existential analysis of hope in the philosophy of gabriel marcel ،Journal of Social Review and Development, 2022; 1(2):37-41 p 38

لنداء داخلي يتجاوز البرهان، وهو ما يتجلى في عبارته: "الأمل لا يعني الترقب، بل هو يقين في غياب كل يقين تجريبي".

إن الأمل مرتبط عضوياً بالإيمان، فحين يُدرك الإنسان وجود "الذات المطلقة - Thou Absolute" التي ترافقه وتحفظه، تتجذر في كيانه قدرة على مقاومة الخيبة واليأس. ففي لحظة الخذلان، يواجه الإنسان خيارين: إما أن يستسلم للتشاؤم أو أن يعيد اكتشاف ذاته الحقيقية من خلال الأمل. يقول مارسيل في هذا السياق: "حتى أضيق أشكال الأمل تحيل إلى الذات المطلقة، مصدر كل أمل غير مشروط".

وفي مقابل هذه الرؤية، ينتقد مارسيل النزعة الوجودية التشاؤمية لدى سارتر، إذ يرى أن اليأس، كما يتصوره سارتر، نابع من وهم الاكتفاء الذاتي للذات، وهو ما يؤدي إلى انغلاقها وانسلاخها عن الآخر. غير أن مارسيل يعتقد أن الكائن البشري لا يمكن أن يحقق ذاته في العزلة، بل من خلال الانخراط في علاقة "أنا-أنت"، والتي تشكل شرطاً أساسياً لتحقيق الوجود الأصيل.¹ كما يشير مارسيل إلى أن الأمل لا يُبنى على المنطق التجريبي، بل على إدراك داخلي لحضور روحي عميق، وهو ما يُعبّر عنه بقوله: "لا يمكن للأمل أن يوجد إلا حيث يتعلم الروح أن يتجاوز حدوده"، معتبراً أن "الروح تتحرك بالأمل كما يتحرك الجسد بالهواء".

أما في العلاقة مع الآخر، فإن الأمل يشكل جسراً للانفتاح والتلاقي، ويُعد شرطاً للتواصل الصادق والوفاي. فالعلاقة بين "أنا" و"أنت" ليست تبادلاً نفعيةً، بل لقاءً وجودياً يتأسس على الثقة والالتزام. ومن هذا المنطلق، يعتبر مارسيل أن "الإخلاص يتقاطع بنويًا مع الأمل"، ويضيف أن "الحب الحقيقي لا يمكن أن يُمنح إلا لمن نثق بهم، كما أن الأمل ينبع من اليقين المطلق في محبة الموجود الأسمى لجميع خليقته".

وفي ظل الحضارة التقنية الحديثة، يحذر مارسيل من النزعة نحو تحويل الإنسان إلى مجرد رقم أو معادلة رياضية، مما يؤدي إلى تفرغ العلاقة الإنسانية من بعدها الروحي. ويقول:

¹ Dr. S. John Kaviarasul ,V. Michaelammal' and Dr. A. Amala Arokia Raj,ibid, p 39

“على الجماعة البشرية أن تتذكر أنها ليست مجموعة رياضية... فالثقافة التي تنقطع عن الأمل تبدأ بالانسحاب من العالم وتقعد القدرة على التفاعل”¹

يخلص مارسيل إلى أن الأمل ليس مجرد بديل عن الفشل أو الهزيمة، بل هو استجابة كونية تؤسس لفعل أخلاقي وروحي، يحفظ الإنسان من السقوط في العدمية. إنه القوة التي تدفعنا لأن نستمر رغم الألم، وتمنح علاقاتنا معنى يتجاوز المنفعة. ومن ثم، فإن الأمل، بوصفه عنصرًا وجوديًا، يشكل أفقًا للانخراط العملي في الحياة، حيث لا يمكن للمحب، ولا للوفي، ولا للمؤمن، أن يستمر دون أن يكون ممتلئًا بأمل يُغذي الروح، ويرتقي بالذات نحو الآخر.

¹ Dr. S. John Kaviarasul ،V. Michaelammal' and Dr. A. Amala Arokia Raj,ibid, p 40

خلاصة الفصل الثاني

يتبين من خلال تحليلنا لفكر غابرييل مارسيل أنّ الوجود الإنساني لا يُفهم بمعزل عن التوترات الداخلية التي تلازم الذات، ولا عن علاقاتها الحيّة بالآخر. فالإنسان، في فلسفة مارسيل، ليس جوهراً مكتفياً بذاته، بل هو كائن يتحدد عبر الانفتاح، المشاركة، والالتزام. وقد أبرز مارسيل تمييزاً جوهرياً بين ما هو "مشكلة" يُحلّ من الخارج، وما هو "سرّ" يُعاش من الداخل، مشدداً على أن الكائن البشري لا يمكن فهمه إلا بوصفه كينونة منخرطة في علاقة، تعيش التوتر والأمل، وتبحث عن الخلاص في الإيمان والوفاء. ومن هنا، يغدو الفعل الإنساني، بما فيه من مسؤولية والالتزام، تعبيراً عن وجود عملي أصيل، يتجاوز الصيغ النظرية نحو الممارسة الأخلاقية والروحية. فمارسيل لا ينظر إلى الوجود كمعطى جامد، بل كدعوة مستمرة للانخراط في الحياة بوصفها مشروعاً مشتركاً يتجلى فيه المعنى، ويتأصل فيه الأمل كقوة روحية قادرة على تجاوز العدم واليأس، وتثبيت الإنسان في عالم مهدد بالانكسار واللاجدوى.

الفصل الثالث:

فلسفة الوجود والعلو في تشكيل الكينونة الإنسانية عند
غابريال مارسيل

مقدمة الفصل

تمثّل فلسفة غابرييل مارسيل لحظة فارقة في مسار الفكر الوجودي، من حيث قدرتها على تجاوز الطابع التقني المجرد الذي وسم فلسفات الحداثة، وإعادة الاعتبار للبعد الإنساني العميق بوصفه جوهر الكينونة. لقد قدّم مارسيل قراءة فريدة للوجود الإنساني من داخل التجربة الحيّة، وليس عبر تأملات عقلانية محضة، مؤسسًا بذلك لرؤية وجودية تقوم على العلو الأخلاقي، الروحي، والديني. يعالج هذا الفصل محاور مركزية في فلسفة مارسيل تتعلق بفهمه لعلو الإنسان في مستوياته الثلاثة: الإنساني، الأخلاقي، والديني، بوصفها مفاتيح لتأسيس كينونة حقيقية تنبع من العلاقة الحية مع الذات، الآخر، والمتعالى. كما يستعرض الفصل مآلات ومخرجات الفكر الوجودي في فكر مارسيل، وكذا المآخذ الموجهة إليه، سعيًا إلى تقديم قراءة شاملة ومعقدة لمشروعه الفلسفي.

المبحث الأول: ابعاد العلو في بناء الانسان

يتناول غابرييل مارسيل في فلسفته مفهوم "العلو الإنساني" من خلال رؤيته الوجودية التي تركز على التجربة الذاتية، والبعد الديني، والأخلاقي، والروحي. يُعد مارسيل من أبرز فلاسفة الوجودية المسيحية، حيث يرى أن الإنسان لا يُختزل في كونه كائناً وظيفياً أو موضوعاً قابلاً للقياس، بل هو كائن يشارك في "سر الوجود" عبر الإيمان، والأمل، والوفاء، والحب

المطلب الأول: العلو الانساني

البعد الإنساني في فلسفة غابرييل مارسيل يتجلى بعمق في رؤيته للكرامة الإنسانية، حيث ينطلق من نقد حاد للفهم العقلاني والتجريدي للإنسان الذي يغفل حقيقة وجوده الحي والضعيف، ويسعى إلى استعادة الثقل الأنطولوجي للتجربة الإنسانية.

يرفض مارسيل النزعة التجريدية التي تختزل الإنسان فيما يملك من صفات أو قدرات أو خصائص، ويؤكد بدلاً من ذلك على "الوجود" بوصفه هوية الإنسان الجوهرية، أي كونه فريداً، منفثاً، وخلاقاً. فالإنسان لا يُقاس بما يمتلك بل بما هو عليه في كيانه وتفردته.

وهذا ما يجعل من أي محاولة لتصنيفه أو "تشيئته" شكلاً من أشكال الإهانة الوجودية.

ويرى مارسيل أن الكرامة لا تُختزل في مفاهيم القوة أو الاستقلال الصلب كما في التقليد الكانطي، بل تكمن في الاعتراف بضعف الإنسان وفنائه، وفي قدرته الخلاقة على مقاومة التشييء والإذلال وهذا الضعف ليس علامة نقص، بل هو التعبير الأعرق عن إنسانيته:¹

"الكرامة يجب أن تُلتصق عند القطب المضاد للدعاء، وعلى جانب الضعف"

ولا يرى الإنسان ككائن مستقل، بل كـ "كائن-مع" (co-esse)، حيث يتحقق الوجود الإنساني الحقيقي في العلاقة الحية مع الآخر، من خلال الحب، الأمل، والأخوة. وهو يفضل مصطلح "الوجه للوجه" المستعار من ليفيناس للتعبير عن هذا اللقاء الحميمي مع "الجار" وليس "الآخر" بوصفه فكرة مجردة:

"الأساس الحقيقي لما يسمى كرامة الإنسان لا يُمكن ترسيخه إلا في الأخوة المنفتحة، وفي كل لقاء إنساني أصيل"²

¹ Gabriel Marcel, Homo Viator: Prolégomènes à une métaphysique de l'espérance Paris Aubier, 1963, p61

² Gabriel Marcel, Homo Viator: Prolégomènes à une métaphysique de l'espérance, ibid p. 65

مارسيل يقدم مثالاً إنسانياً لرجل دولة يعترف بخطئه بشجاعة، ويرى أن هذه الجرأة في الاعتراف بالخطأ والابتعاد عن الزيف، تعبر عن نوع جديد من القوة، قوة نابعة من الكينونة لا من التملك:

“الاحترام لا ينبع من الضعف بذاته، بل من تزاوج متناقض بين القوة والضعف...”¹ في لحظة المواجهة مع الفناء، يكشف الإنسان عن كرامته القصوى عندما يرفض أن يُمحى وجوده، ويصمد بإبداع أمام العدم، مدفوعاً بما يسميه مارسيل “النداء الأنطولوجي إلى أن يكون”، والمحفوظ في رجاء متجذر في قدسية الكينونة: “الكرامة الإنسانية هي علمنة للقداسة”²

في قراءة وجودية لشعار “حرية، مساواة، أخوة”، يفرق مارسيل بين المساواة بوصفها مطلباً أنانياً، والأخوة باعتبارها اعترافاً غير مشروط بالآخر، ويعيد تأويل الحرية كـ “حرية من أجل الآخر” لا كاختيار ذاتي فقط:

“الحرية هي استجابة لنداء الآخر، لا مجرد اختيار منغلق”³

المطلب الثاني: العلو الأخلاقي

يتجلى البعد الأخلاقي في فلسفة غابرييل مارسيل بوصفه نداءً وجودياً عميقاً يدعو الإنسان إلى تجاوز ما هو تقني ووضعي نحو علاقات إنسانية قائمة على الاحترام، الحضور، الالتزام، والوفاء. في عالم “مكسور” على حد تعبيره تهيم فيه النزعة الوظيفية والتقنية التي تحوّل الإنسان إلى كائن قابل للاستعمال والاستهلاك، يعيد مارسيل الاعتبار إلى الأخلاقيات الوجودية التي تُعيد للإنسان كرامته ككائن حرّ ومتجاوز.

يبدأ مارسيل نقده للعصر الحديث بوصفه عالماً “مكسوراً”، عالماً فقد فيه الإنسان صلته بجوهره الإنساني، وانغمس في عالم الوظائف حيث يُقاس الفرد بما يفعله لا بما هو عليه. وهنا يظهر البعد الأخلاقي بشكل غير مباشر: إذ أن نزع الجوهر الإنساني عن الفرد هو فعل لا أخلاقي

¹ Gabriel Marcel ،Homo Viator: Prolégomènes à une métaphysique de l'espérance، Ibid، p. 58

² Gabriel Marcel ،Homo Viator: Prolégomènes à une métaphysique de l'espérance، ibid، p. 50

³ Gabriel Marcel ،Homo Viator: Prolégomènes à une métaphysique de l'espérance، ibid، p. 147

بامتياز، والواجب الأخلاقي في هذا السياق هو استعادة حضور الإنسان لا كأداة، بل كذات تشعر وتعيش وتتعاطف.

“الشخص الذي فقد وعيه بالوجود هو ذلك الذي تحجرت فيه ملكة العجب، وتحولت إلى بقايا غريزة باهتة.”

الوفاء عند مارسيل ليس مجرد واجب اجتماعي أو ديني، بل هو فعل أخلاقي خلاق ينبع من التزام داخلي تجاه الآخر.

هو استعداد دائم لأن أكون حاضراً للآخر، حتى في غيابه، وأن أظل أميناً للنداء الإنساني الذي جسده في لحظة العلاقة.¹

هذا المفهوم يعكس أخلاقيات العناية والمسؤولية، حيث يُنظر إلى الآخر لا كموضوع للعلاقة، بل ككائن يُستحق الحضور لأجله.

“الوفاء الخلاق هو تأكيد على قيمة العلاقة في جوهرها، لا في ظروفها الطارئة.

يرى مارسيل في الأمل قيمة أخلاقية لا تقل أهمية عن الوفاء. فالأمل ليس تقاؤلاً ساذجاً، بل موقفاً وجودياً ينبع من إيمان عميق بكرامة الإنسان وقدرته على تجاوز العبث والمعاناة. إن الأمل هو مقاومة لليأس الذي يُغري بالانسحاب من المسؤولية، ولذلك فهو فعل أخلاقي مقاوم. “أن تأمل، هو أن ترفض أن تجعل من العبث الكلمة الأخيرة.”

يفرق مارسيل بين أن أكون وأن أملك، حيث يرى أن العلاقة مع الآخر ينبغي أن تكون على أساس الوجود والمشاركة، لا التملك والسيطرة. هذه الرؤية تعكس موقفاً أخلاقياً يحترم استقلالية الآخر ويرفض تحويله إلى شيء أو وسيلة.

فأن أكون مع الآخر يعني أن ألتزم به ككائن حرّ، بينما أن أملكه يعني أن ألغيه كذات مستقلة. “جسدي شيء أملكه، لكنه أيضاً شيء أنا عليه؛ وحين أتعامل معه كأداة، أكون قد فصلت نفسي عن ذاتي.”

يرى مارسيل أن هناك فرقاً بين المشكلة التي يمكن التعامل معها من الخارج وحلها بطريقة تقنية، والسر الذي أنا منخرط فيه وجودياً ولا يمكن فصله عني. هذه الرؤية تؤسس لموقف

¹ Chris Osegenwune, Gabriel Marcel's Existential Ethics and the Search for the Meaning of Life, Nnamdi Azikiwe Journal of Philosophy. Volume 10, No 1 (without the year of publication), p96

أخلاقي يقوم على الاعتراف بالحدود، التواضع المعرفي، وعدم تحويل الإنسان إلى مسألة تُحلّ. “المشكلة شيء يمكنني محاصرته وتحليله، أما السر فهو شيء أكون منخرطاً فيه، وأي فصل بيني وبينه يلغي معناه.”

في مفهومه “للنداء الوجودي” أو النداء المتجاوز، يشير مارسيل إلى أن الإنسان مدعو إلى ما هو أبعد من ذاته، إلى ما يتجاوز العالم المرئي والمادي. وهذا النداء يحمل في طياته بعداً أخلاقياً عميقاً، لأنه يضع الإنسان أمام مسؤولية روحية وأخلاقية تجاه الكائن، الآخر، والمطلق (الله).

“أطمح إلى أن أشارك في الكينونة، وهذه الطموح هو في ذاته مشاركة مبدئية.”
يؤسس مارسيل فلسفته الأخلاقية على أسس وجودية وروحية، رافضاً تحويل الإنسان إلى شيء أو وظيفة. إنه يدعو إلى أخلاقيات قائمة على:

- ✓ الحضور والوفاء الخلاق.
- ✓ الأمل في وجه اليأس.
- ✓ احترام الغيرية والوجود.
- ✓ التواضع أمام سرّية الكينونة.
- ✓ الالتزام أمام الآخر والمطلق.

وبهذا، تُعد فلسفة مارسيل دعوة أخلاقية متكاملة إلى استعادة إنسانية الإنسان في عالم بات يخلق الروح ويُسرّ كل ما هو جوهري

المطلب الثالث: العلو الديني

يشغل البعد الديني في فلسفة غابرييل مارسيل موقعاً محورياً، ليس بوصفه مجرد خلفية لاهوتية لعقيدته الكاثوليكية، بل باعتباره بعداً وجودياً يمسّ جوهر الكينونة البشرية في صلتها بالغير، وبالسرّ، وبالمتعالي. فمارسيل لا يتناول الدين على نحو مؤسساتي صرف، بل يتغلغل في عمق التجربة الدينية بوصفها تعبيراً عن العلاقة الأصلية بين الإنسان والله، وعلاقة الإيمان بالرجاء، والرجاء بالتسامح، والتسامح بالوجود، بحيث لا يمكن عزل الدين عن شبكة المفاهيم الأساسية في فلسفته.¹

¹ ينظر بوشنسكي: الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة عزت قرني، عالم المعرفة، ص 239.

اتَّجه المسار الفلسفي لغابرييل مارسيل منذ بداياته نحو معالجة قضايا ميتافيزيقية مركزية كـ "وجود الله" و "خلود الروح"، إلا أن تعامله مع هذه الإشكالات لم يكن تقليدياً، بل استند إلى رؤية وجودية قائمة على التجربة العينية لا المفاهيم المجردة. وقد رأى مارسيل أن البحث في وجود الله لا يمكن أن يتم بمعزل عن توضيح دقيق لمفهوم "الوجود" ذاته، لأن هذه القضايا الكبرى بحكم طبيعتها تُسائل وجود الإنسان وتُفترض في إطار فلسفي يتأسس على التجربة الشخصية والمعيشة

إن فلسفة مارسيل لا تطمح إلى صياغة نظرية ميتافيزيقية شاملة أو مجردة عن الوجود، بقدر ما تسعى إلى إقامة ما يسميه "فلسفة الوجود الفردي"، وهي فلسفة تحتكم في المقام الأول إلى التجربة الوجودية الذاتية، تلك التي لا حدود لها من حيث الاتساع والعمق. ووفقاً لمارسيل، ينبغي للفلسفة أن ترحّب بكل ما تحمله الحياة من خبرات وتجارب، بما في ذلك المعاناة والقلق وحتى الخطأ والانحراف، إذ إن هذه المكونات هي التي تكشف عن جوهر الكينونة البشرية.¹ يرفض مارسيل هيمنة النزعة العقلانية المثالية، ويدعو إلى دمج التجربة الذاتية – بوصفها تجربتي أنا – في نسق فلسفي دون أن تفقد خصوصيتها أو حتى تناقضاتها، لأن الوجود، في نظره، هو المجال الأصيل للميتافيزيقا، والعالم يغور في عمقه داخل هذا الوجود. فالإنسان، في التجربة الوجودية، لا يُدرك الوجود كمجرد مفهوم، بل يعيش حضوره العيني ويشعر به في ذاته.

ينطلق مارسيل من الكوجيتو، ولكن على نحو يختلف عن ديكارت؛ فهو لا يفرّق بين "أنا أفكر" و "أنا موجود"، بل يراهما تعبيراً عن حقيقة واحدة. وجود الإنسان عنده هو وجود متجسّد، يخوض من خلاله العالم بحثاً عن الذات، ليس فقط في ظاهر الحياة بل في أعماقها، من خلال العلاقة بالواقع وبالأخرين.

لهذا السبب فضّل مارسيل تسمية فلسفته بـ "فلسفة الوجود" أو أحياناً "السقراطية الجديدة"، وقد وُصف بأنه وجودي مسيحي، يقف على النقيض من الفلسفة الوجودية الإلحادية التي يمثلها سارتر.

في هذا السياق يغلب على فكر مارسيل طابع تفاؤلي مستوحى من كيركجارد، إذ يرى أن التعايش بين البشر ليس فقط ممكناً بل ضرورة وجودية، وأن الإيمان بالله قادر على تبديد

¹ ينظر ريجيس جوليفيه: المذاهب الوجودية، ترجمة فؤاد كامل، دار الآداب، ص 238-247.

الفصل الثالث: فلسفة الوجود والعلو في تشكيل الكينونة الإنسانية عند غابرييل مارسيل

الغموض المأساوي المحيط بالمصير الإنساني، ويفتح أفقاً للحل من خلال المعنى، والرجاء، والانفتاح على الآخر.

يرى مارسيل أن الإيمان ليس مجرد اعتقاد نظري أو التزام عقائدي، بل هو تجربة وجودية عميقة تتجلى في العلاقة مع "الأنت" أي الآخر وخاصة في العلاقة مع الله. فالإيمان عنده هو "تسليم" و "كشف"، وليس مجرد "رأي" أو "قناعة" عقلية. وهذا التسليم ينبع من المشاركة الوجودية مع الآخر، حيث تتجلى الذات في علاقتها بالغير، وتتحقق الإنسانية الحققة من خلال هذه العلاقة.¹

كما يشدد مارسيل على أن الإيمان يتجلى في السلوك والممارسة اليومية، وليس فقط في الفكر أو الاعتقاد.

فهو يرى أن الإيمان الحقيقي يظهر في الأفعال التي تعبر عن الحب، والوفاء، والتضحية، والانفتاح على الآخر وهذا ما يمنح الحياة معناها، ويضيء طريق الإنسان في عالم مليء بالتحديات والآلام

ويركز مارسيل على أهمية "الوفاء الإبداعي" (Creative Fidelity) كعنصر أساسي في العلاقات الإنسانية. فهو يرى أن الوفاء ليس مجرد التزام شكلي، بل هو مشاركة حقيقية في وجود الآخر، واستعداد دائم للتضحية من أجله. وهذا ما يعزز الروابط الاجتماعية، ويمنح الإنسان شعوراً بالانتماء والمعنى.

في السياق النيجيري، يمكن تطبيق فلسفة مارسيل كإطار لإعادة بناء المجتمع وتعزيز الوحدة الوطنية. فقد أشار الباحثان أوكورو ويوجين في دراستهما إلى أن ضعف العلاقات بين الأفراد والمجتمعات في نيجيريا يؤدي إلى تفكك اجتماعي ونزاعات مستمرة. ويقترحان أن تبني مفهوم "المشاركة" و "العلاقات البينية" كما طرحها مارسيل يمكن أن يكون حلاً لإعادة بناء المجتمع النيجيري وتعزيز التفاهم بين مختلف مكوناته.

يرى مارسيل أن الكنيسة هي تجلٍ إنساني لسرٍّ إلهي، فهي تعبير عن الإيمان من خلال العقيدة والسلطة والطقوس، لكنها في جوهرها جسد سري للمسيح، أي أنها لا تُختزل في مؤسسات أو سلطة كهنوتية، بل تتمثل في تلك العلاقة السرّانية المتجاوزة بين الإنسان والله.

المبحث الثاني: المآلات والمآخذ في فلسفة الوجود الانساني عند غابريال مارسيل

¹ ينظر جبريل مارسيل: من الرأي إلى الإيمان، ترجمة قزحيا خوري، منشورات عويدات، ص42.

تُعدّ فلسفة غابرييل مارسيل من أبرز المحاولات الفكرية التي أعادت الاعتبار للبعد الروحي والوجودي في الكائن الإنساني، في مواجهة نزعات العصر الحديث المادية والاختزالية. غير أن هذه الفلسفة، مثلها مثل سائر المشاريع الفلسفية الكبرى، لا تخلو من مآلات ناضجة وآثار بئاءة، كما لا تخلو من مواطن نقد أو مأخذ فلسفي.

المطلب الأول: تطور فلسفة الوجود عند غابريال مارسيل

يُعد غابريال مارسيل واحدًا من أبرز الفلاسفة الوجوديين الذين أثروا الفكر الفلسفي في القرن العشرين، حيث تطورت فلسفته عبر مراحل متعددة انعكست على فهمه للوجود الإنساني وعلاقته بالعالم والآخرين. يمكن تتبع تطور فلسفة الوجود عند مارسيل من خلال عدة مراحل أساسية تشكلت تحت تأثير تجاربه الشخصية، الخلفية الفكرية، والانفتاح على تيارات فلسفية مختلفة.¹

1. المرحلة الأولى: من التجربة الشخصية إلى الفلسفة الوجودية

بدأ مارسيل مشواره الفكري من خلال تجاربه الشخصية التي أثرت بعمق على رؤيته للإنسان والوجود، خاصة ما تعلق بمشاعر الوحدة، الإحباط، وعدم الفهم المتبادل. كانت هذه التجارب حجر الأساس الذي بنى عليه تصورات الوجودية، التي تهدف إلى استكشاف معنى الوجود من داخل التجربة الإنسانية ذاتها، لا من خلال تأملات مجردة أو نظريات خارجية. في هذه المرحلة، ركز مارسيل على طرح أسئلة جوهرية تتعلق بالكينونة مثل: "من أنا؟" و"ما معنى كوني؟"، وأكد على أهمية العودة إلى الذات كوسيلة لفهم أعمق للوجود.²

2. المرحلة الثانية: التأثير بالفلسفات المعاصرة وبناء فلسفة وجودية مستقلة

تأثر مارسيل في هذه المرحلة بعدد من الفلاسفة مثل هنري بيرغسون، وجوزييه رويصي، وسورين كيركغور، وكذلك الفلاسفة الوجوديين الآخرين، لكنه حرص على تطوير فلسفته بشكل مستقل ومتميز، فقد انتقد النزعات الوجودية التي كانت تميل إلى التشاؤم والإلحاقية، وركز على الأمل والتفاؤل كجزء لا يتجزأ من تجربة الوجود.

¹ ينظر ريجيس جوليفيه: المذاهب الوجودية، ص 240-248.

² ينظر سعيد العشماوي: تاريخ الوجودية في الفكر البشري، دار الوطن العربي، ص 124.

تميزت فلسفة مارسيل في هذه المرحلة بتبنيه لمفاهيم مثل “الانكشاف” و”التوفر” و”الوفاء الإبداعي”، حيث اعتبر أن الوجود الإنساني يتأسس على علاقات متبادلة مع الآخر والعالم، وليس مجرد وجود منعزل.¹

3. المرحلة الثالثة: بلورة مفاهيم الوجود الأساسية

في هذه المرحلة، طور مارسيل مجموعة من المفاهيم الأساسية التي شكلت جوهر فلسفته الوجودية، منها:

- العالم المكسور (The Broken World): حيث رأى أن العالم الذي نعيش فيه يعاني من الكسرة الأساسية، وهذه الكسرة ناجمة عن غياب البُعد الوجودي والروحي، بالإضافة إلى تحوّل الإنسان إلى كائن وظيفي فقط، يُنظر إليه من حيث ما يفعل وليس من حيث كينونته.
- المطلب الأنطولوجي (Ontological Exigence): وهو الطلب الوجودي العميق الذي يطالب باستعادة التناغم والانسجام المفقود في الوجود.
- التجاوز (Transcendence): حيث فسّر التجاوز ليس فقط على أنه “تجاوز” خارجي، بل كمدى عمودي يتيح للإنسان تجربة ذاتية عميقة مع ما هو أعلى وأسمى، مما يعيد للوجود معنى وروحًا.
- الوجود والامتلاك (Being and Having): تمييز بين أن يكون الإنسان موجودًا يشارك ويتفاعل مع الآخر وبين أن يكون مجرد مالك لأشياء وظيفية.

المرحلة الرابعة: الانتقال إلى بعد أخلاقي وإنساني

مع مرور الوقت، تحوّل تفكير مارسيل من مجرد توصيف الوجود إلى التفاعل مع أبعاده الأخلاقية والإنسانية، حيث صار يؤكد على أهمية القيم الإنسانية مثل الأمل، الوفاء، والحب في تأسيس وجود إنساني حقيقي.

¹ سعيد العشماوي، مرجع سابق، ص125

لقد أدرك مارسيل أن الوجود لا يكتمل إلا بتجاوز الفردية الأنانية، والانفتاح على الآخر عبر علاقات إنسانية حقيقية، تحمل بعدًا أخلاقيًا وروحيًا يجعل من الوجود تجربة ذات مغزى. يمكن القول إن فلسفة الوجود عند غابريال مارسيل هي فلسفة تطويرية تتدرج من تأملات ذاتية وتجارب شخصية إلى بناء مفاهيمي متكامل يحاول فهم الإنسان في كينونته الروحية والوجودية، مع التأكيد على أهمية البعد الأخلاقي والإنساني في هذه الفلسفة.¹

وقد تطورت فلسفته من الاهتمام بـ " الوجود الفردي " إلى التفكير في الوجود الإنساني في علاقته بالله والآخرين. كان مارسيل فيلسوفًا مسيحيًا يؤمن بأن الإنسان لا يكتمل وجوده إلا من خلال الإيمان، واعتبر أن "الإيمان بالله قادر على تبديد أسرار المصير الإنساني المأساوي وحل مشكلاته". وهنا تظهر بوضوح نزعة مارسيل اللاهوتية، حيث لم ينفصل فيلسوف الوجود عن المفكر الديني.

ومن أهم محاور تطور فلسفته أيضًا، تركيزه على الوجود في الجسد، أي أن الإنسان يوجد دائمًا في علاقة بالعالم من خلال جسده، وأنه لا يمكن اختزال الذات في هذا الجسد، بل هو مجرد وسيط لتفاعل الذات مع العالم. ومن هنا قال:

"الوجود ليس حقيقة جاهزة، بل هو عمل واكتساب، وكل إنسان في محاولته الدائمة للعلو على نفسه، يخلق ذاته ويتحمل مسؤولية أفعاله".

لقد عبّر مارسيل عن تميزه داخل الفلسفة الوجودية بتفضيله لمصطلح "فلسفة الوجود" بدل "الوجودية"، ورأى نفسه امتدادًا لفكر سقراط، ولذلك أطلق عليه بعضهم لقب "سقراط الجديد".² وبهذا، فإن تطور فلسفة غابرييل مارسيل قد تدرج من تأملات يومية شخصية، إلى بناء تصورات فلسفية حول الوجود، تنفتح على الروحي والمقدس، دون أن تفقد خصوصيتها الذاتية أو تتغلق داخل الأطر النسقية التقليدية. لقد بقيت فلسفته منفتحة، متسائلة، وشخصية الطابع، ما يجعلها عصية على التصنيف لكنها غنية بالمعاني الوجودية الأصيلة.

المطلب الثاني. مآلات الفكر الوجودي (مسارات الفكر)

تُعد فلسفة غابرييل مارسيل نقطة محورية في مسار الفكر الوجودي، إذ تتجاوز قراءة الإنسان بوصفه مجرد كائن وظيفي إلى كائن يتصف بالوجود العميق والتفاعل مع الغموض والآخر.

¹ ينظر معنى الوجودية (دراسة توضيحية مستقاة من اعلام الفلسفة الوجودية)، مكتب دار الحياة، ص 105-106

² معنى الوجودية، مرجع سابق، ص 107

مارسيل يعترف بأن العالم "مكسور" (broken world) بسبب التركيز المفرط على الوظيفة (functionality) على حساب جوهر الإنسان الوجودي، هذه الرؤية تفتح أمام الفكر الوجودي مآلات تتطلب إعادة تقييم العلاقة بين الإنسان وذاته، والآخر، والعالم.

1. مواجهة العالم المكسور وإعادة الوعي الوجودي

في فلسفة مارسيل، العالم المكسور يعكس حالة إنسانية تقتقر إلى الدهشة (wonder) والإدراك العميق للوجود (ontological awareness). بهذا الصدد، أشار مارسيل إلى أن الإنسان الحديث غالبًا ما يُختزل إلى دوره الوظيفي، مما يؤدي إلى تقليل كينونته الإنسانية إلى مجرد آلة تؤدي مهامًا محددة وهذا يدفع الإنسان إلى حياة مكررة، مملة، تقتقد إلى المعنى¹. التي تؤكد أن "التركيز على الوظيفة في المجتمعات الحديثة يقود إلى تآكل الوعي بالذات ككيان وجودي، وهو ما يفضي إلى أزمة وجودية عميقة.

2. الاستعجال الأنطولوجي كدافع وجودي

مفهوم "الاستعجال الأنطولوجي" (ontological exigence) "يعبر عن الحافز الداخلي المستمر لدى الإنسان للبحث عن المعنى والوحدة وسط التناقضات ومارسيل يشدد على أن هذا الاستعجال ليس مجرد رغبة نفسية عابرة، بل هو "تداء" روحي أساسي لا ينفصل عن الإنسان بوصفه كائنًا وجوديًا².

حيث أن "الاستعجال الأنطولوجي يشكل جوهر السعي الإنساني نحو تجاوز حالة التمزق الداخلي وإعادة بناء الذات.

3. التجاوز (التسامي) وأفق التجربة الإنسانية

من أبرز مآلات الفكر الوجودي عند مارسيل التأكيد على التجاوز (Transcendence) كوسيلة لإدراك الواقع الحقيقي، مع التمييز بين التجاوز الأفقي والعمودي. التجاوز العمودي هو ما يمنح التجربة معنى وعمقًا وجوديًا، وهو يبرز أهمية البعد الروحي والوجودي للإنسان.

¹ Francis Chigozie Ofoeghu PhD, THE BROKEN WORLD: A REFLECTION ON GABRIEL MARCEL'S PHILOSOPHY, AMAMHE: journal of applied philosophy, Vol. 21. No. 2.2023,p27

² Chris Osegenwune ,Gabriel Marcel's Existential Ethics and the Search for the Meaning of Lif,ibid, p97

مارسيل يرى أن عدم الاعتراف بهذا البُعد يؤدي إلى اعتبار التجربة أمراً موضوعياً بحتاً، وهذا خطأ جوهري¹.

حيث أن التجربة الإنسانية الحقيقية تقتضي اعترافاً بالتجاوز الذي يتجاوز الطابع المادي والموضوعي، ويؤسس لتجربة وجودية أصيلة.

4. الفرق بين المشكلة والغموض

يركز مارسيل على التمييز الدقيق بين "المشكلة" التي يمكن السيطرة عليها وحلها، و"الغموض" الذي يحيط بالذات والوجود، والذي لا يمكن اختزاله أو حله بسهولة. هذا التمييز يبرز استمرار الفكر الوجودي في مواجهة غموض الوجود كجزء أساسي من مآلاته الفلسفية². حيث أن الغموض يمثل الحدود النهائية للفكر الإنساني، حيث يلتقي الوعي بالوجود الحقيقي الذي لا يمكن حله أو اختزاله.

المطلب الثالث: المآخذ الموجهة لفلسفة مارسيل الوجودية (اعتراضات انتقادات)

رغم ما تميزت به فلسفة غابرييل مارسيل من أصالة وإسهامات في الفلسفة الوجودية، إلا أنها لم تسلم من جملة من الانتقادات والمآخذ التي تناولت بعض جوانبها النظرية والمنهجية، ونذكر أهمها فيما يلي:

مارسيل يميز بين "المشكلة" و"الغموض" ويعطي الغموض مكانة خاصة باعتباره تجربة لا يمكن اختزالها أو تحليلها مثل المشكلة. إلا أن بعض النقاد يرون أن مفهوم الغموض عند مارسيل يفتقر إلى الدقة والتحديد الفلسفي، إذ يطرح الغموض على أنه تجربة ذاتية غير قابلة للتوصيف أو التواصل بشكل واضح، مما يجعل صعوبة نقاشه أو تطويره في إطار فلسفي دقيق، ويعبر البعض عن قلقهم من أن الغموض يتحول في فلسفته إلى نوع من الهروب من الطابع العلمي والمنطقي للفلسفة.

كون مارسيل فيلسوفاً وجودياً ذا بعد لاهوتي، فقد واجه اعتراضات من فلاسفة وجوديين آخرين مثل جان بول سارتر الذين رأوا أن بعده الديني والتفسيري يقلل من الحرية والذاتية التي هي أساس الفلسفة الوجودية. حيث اعتبر سارتر أن مارسيل يحيد عن الأصل الإنساني الحر باتكاله على "المتسامي" (transcendence) وما وراء الطبيعة.

¹ Marcel, the mystery of being, ibid,p46

² Francis Chigozie Ofoeghu PhD, ibid,p24

يرى بعض النقاد أن فلسفة مارسيل تميل إلى المثالية والتجريد، إذ تركز على تجارب الإنسان الداخلية والروحانية بشكل يضعف اهتمامه بالجوانب المادية والاجتماعية التي تؤثر في الحياة البشرية، مثل القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية. هذا التوجه، يضع فلسفته في موقف أقل قدرة على تقديم إجابات شاملة للمشكلات الواقعية التي تواجه الإنسان المعاصر ويشير النقاد إلى أن هذا النقص يجعل فلسفته محدودة التأثير في مجالات الفلسفة التطبيقية والسياسة.¹ وتُنتقد فلسفة مارسيل لتركيزها العميق على التجربة الذاتية، الأمر الذي قد يؤدي إلى نوع من العزلة الفلسفية. فهذه الذاتية المفرطة تجعل من الصعب بناء فلسفة جامعة تعالج الإنسان ككائن اجتماعي يتفاعل مع الآخرين في محيطه. كما أن هذا التوجه قد يعيق الحوار بين الفلسفة والتجارب الجماعية التي تُشكل واقعًا بشريًا متشابكًا.

بالإضافة إلى ذلك يقدم مارسيل تمييزًا هامًا بين الوجود (Being) والامتلاك (Having) لبيّن طبيعة العلاقات الإنسانية والوجودية. ومع ذلك، يرى بعض الباحثين أن هذا التمييز قد يحمل توجهات مثالية تبتعد عن الواقع الحيّاتي، أو قد تؤدي إلى فصل مفرط بين الإنسان وواقعه المادي، مما يصعب بناء علاقة متكاملة بين الإنسان وبيئته المادية والثقافية، كما أن التركيز على "الوجود" كمشاركة وارتباط بالآخرين قد يغفل أهمية البعد المادي والاجتماعي في تحديد هوية الفرد.

خاتمة الفصل

يتبين من خلال استقراء فلسفة غابرييل مارسيل أن مشروعه الفلسفي يقوم على إعادة الاعتبار للإنسان بوصفه كائنًا يعلو على ذاته عبر التجربة، الالتزام، والإيمان. لقد شكّلت مفاهيم العلو الإنساني، الأخلاقي والديني، عند مارسيل استجابة وجودية عميقة لعالم مكسور بفعل النزعة المادية والوظيفية، وكان هدفه الأساسي هو إنقاذ الإنسان من التشييء والاغتراب. كما كشفت

¹ Francis Chigozie Ofoeghu PhD, ibid, p26

الفصل الثالث: فلسفة الوجود والعلو في تشكيل الكينونة الإنسانية عند غابرييل مارسيل

مآلات فكره عن نزعة تأملية تتجاوز التقسيمات التقليدية بين الذات والعالم، بين الإيمان والعقل، في حين أثارت فلسفته عددًا من الاعتراضات التي تتصل بطابعها التجريدي والروحي، وحدودها في الانفتاح على القضايا الواقعية والاجتماعية. ومع ذلك، تبقى فلسفة مارسيل من أكثر المشاريع الوجودية قدرة على إعادة المعنى للحياة الإنسانية في أفق المشاركة، المحبة، والرجاء، كسبيل لتشكيل كينونة إنسانية أصيلة.

خاتمة

خاتمة

بعد مسار فلسفي تحليلي تأويلي، تمكّنا من الوقوف على ملامح التصور الوجودي للإنسان عند الفيلسوف الفرنسي غابريال مارسيل، الذي مثّل صوتاً فريداً ضمن تيار الوجودية المعاصرة، متميّزاً عن النزعة العدمية والإلحادية التي طبعت فلسفات سارتر وهايدغر، ومنفتحاً على البعد الروحي والميتافيزيقي للكينونة.

لقد أبرزنا في الفصل الأول الخلفيات الفلسفية التي مهّدت لفكر مارسيل، فكان من الجلي أن فلسفته انبثقت من عمق التجربة الإنسانية، ومن معاناة الذات في عالم غلب عليه الطابع التشيبي والعقلانية الأداة ومارسيل لم يؤسّس فلسفته على العقل المحض، بل جعل من "السر"، و"الحضور"، و"العلاقة"، مفاتيح لفهم الإنسان ككائن لا يُختزل في المفهوم، بل يُعاش في انفتاحه على الآخر.

أما في الفصل الثاني، فقد كشف التحليل عن مركزية مفاهيم الوجود العملي، والالتزام، والأمل، والعلاقة الحية، حيث يتبدى الوجود الإنساني كتجربة معاشة تتجاوز الاختزال الموضوعي إلى نمط من التواجد الحر والمتعالي ومارسيل يُعلّمنا أن الإنسان لا يكون ذاتاً أصيلة إلا في تجاوزه للانغلاق على الذات، وفي انخراطه المسؤول مع الآخر، ومع الأفق اللامرئي للرجاء.

وفي الفصل الثالث، تجلّت فلسفة العلو بوصفها أسمى تعبير عن الكينونة الأصيلة، حيث يتخذ الوجود الإنساني شكلاً تسامياً روحياً وأخلاقياً لا ينفصل عن البعد الديني، بل يستمد منه معناه النهائي. فالعلو عند مارسيل ليس انفصالاً عن الواقع، بل ترقٍ فيه، يربط بين الحضور الأرضي والانفتاح على المطلق، ويعيد للإنسان كرامته وسط عالم يعاني من الاستلاب.

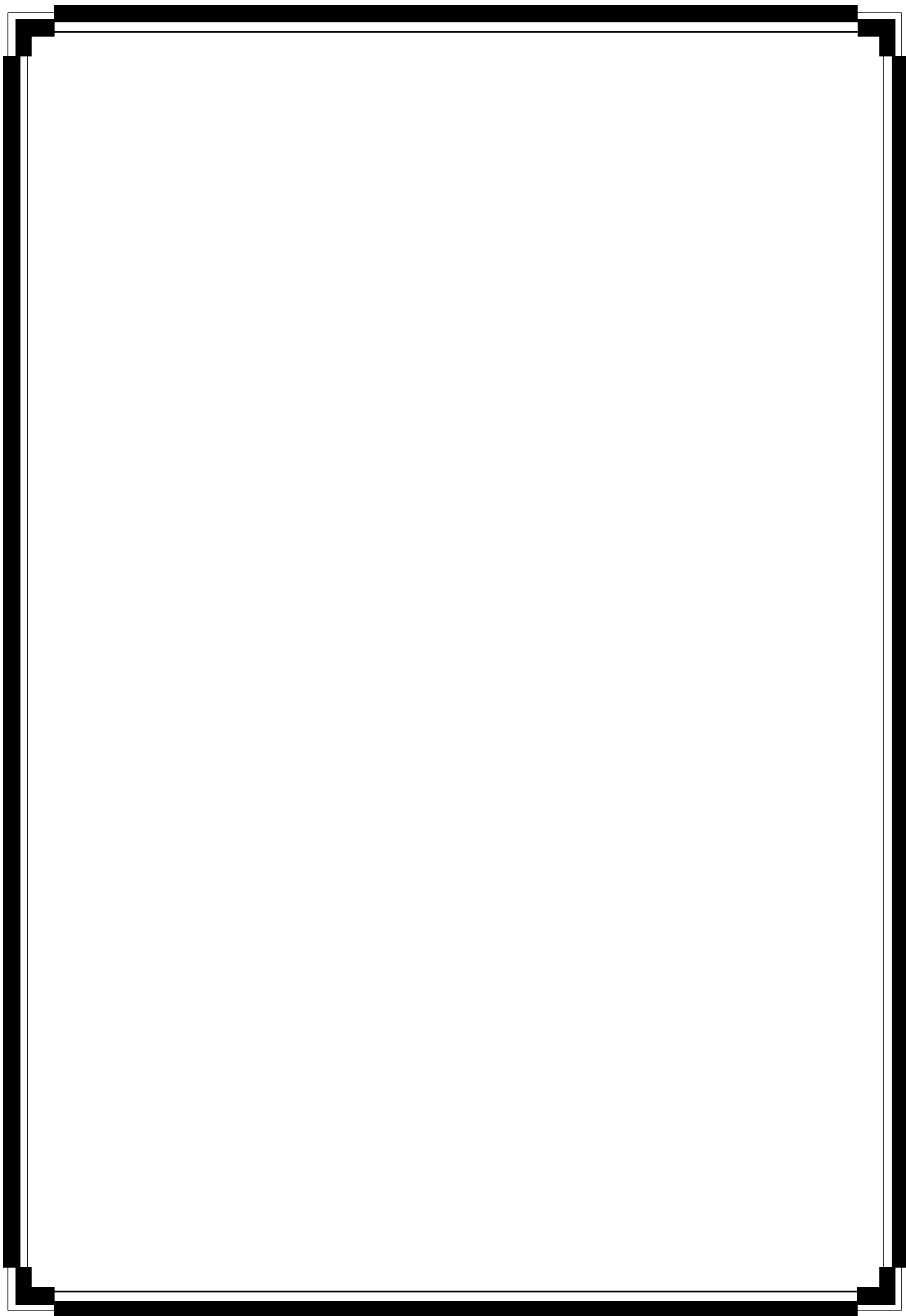
إن فلسفة مارسيل، كما تبين من خلال هذه الدراسة، لا تقف عند التنظير الأنطولوجي، بل تنبع من همٍّ وجودي أصيل، وتسعى إلى إعادة المعنى لعالم يفتقد المعنى حيث أنها فلسفة تأبى أن ترى الإنسان "شيئاً بين أشياء"، وتصر على أن الكينونة لا تُفهم إلا في إطار العلاقة، والحوار، والوفاء، والأمل.

ومن هنا، فإن منزلة الإنسان عند غابريال مارسيل ليست منزلة الماهية الثابتة، ولا الذات المغلقة، بل هي منزلة الكائن السائل، الباحث، المتسائل، الذي لا يكتمل إلا في حضرة الآخر، وتحت ظلال السرّ، وبنور الأمل.

إنها دعوة إلى أن نحيا لا في العزلة، بل في المشاركة، لا في الامتلاك، بل في العطاء، لا في الخوف، بل في الثقة، وهكذا، يتبيّن أن مارسيل لم يقدّم مجرد فلسفة، بل رؤية إنسانية أصيلة، تسعى إلى تخليص الإنسان من تبعيته للآلة، ومن اغترابه عن ذاته، ليعود إلى نفسه كذات متعالية تنتمي إلى عالم أكبر من الوقائع: عالم الحب، الحضور، والرجاء.

قائمة

المصادر والمراجع



قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المعاجم

1. جمال الدين سعيد، معجم الشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، د.ط، تونس، 2004.
2. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني، د.ط، بيروت، لبنان، 1982.
3. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1982.

ثانياً: الكتب

1. إسماعيل مهداوي ومجموعة من المؤلفين، سارتر مفكراً وإنساناً، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، د.س، القاهرة.
2. إبراهيم أحمد، إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هيدجر، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2006.
3. أحمد حامد، الوجودية عند جابرييل مارسيل، صحيفة المثقف، نُشر بتاريخ 15 أغسطس 2017.
4. جان بول سارتر، الوجودية مذهب إنساني، ترجمة: عبد المنعم الحنفي، الدار المصرية للطبع والنشر والتوزيع، ط. 1964.
5. جاك شورون، الموت في الفكر الغربي، ترجمة: كامل يوسف حسين، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، عالم المعرفة، العدد 76، الكويت، 1984.
6. سعيد العشماوي، تاريخ الوجودية في الفكر البشري، دار الوطن العربي.
7. سماح رافع محمد، المذاهب الفلسفية المعاصرة، مكتبة مدبولي، ط. 1، القاهرة، 1973.
8. عبد الرحمن بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ط، بيروت، د.س.
9. علي حنفي محمود، قراءة نقدية في وجودية سارتر، المكتبة القومية الحديثة، د.ب، 1996.

10. علي عبد المعطي، أعلام الفلسفة الحديثة، دار المعارف، ط.5، د.س، القاهرة.
11. محمد إبراهيم الفيومي، الوجودية (فلسفة الفهم الإنساني)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1993.
12. يحيى هويدي، قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، د.ط، القاهرة، 1993.

ثالثًا: الرسائل الجامعية

1. سعدي نادية، الأسس الفلسفية لنظرية الفن عند جول بول سارتر، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2001-2002.
2. رفاص سمية، الأخلاق في الفلسفة الوجودية (سارتر أنموذجًا)، مذكرة ماستر، جامعة محمد خيضر، 2018-2019.
3. آية صلاح حسنين فرغلي، المقارنة في مفهوم السر الأنطولوجي عند غابرييل مارسيل (قراءة تحليلية نقدية)، دكتوراه، جامعة الإسكندرية.

رابعًا: المراجع الأجنبية

1. Blackham, H.J. Six Existentialist Thinkers. Routledge & Kegan Paul Ltd., Great Britain, 1982.
2. Elodie Malbois ،Gabriel Marcel: Intersubjectivity as Reciprocal Availability،2019.
3. Gabriel Marcel. Homo Viator: Introduction to A Metaphysic of Hope. Translated by Emma Craufurd, Harper & Brothers, New York, 1962.
4. Gabriel Marcel, Homo Viator: Prolégomènes à une métaphysique de l'espérance ,Paris Aubier, 1963

5. Gabriel Marcel. *The Philosophy of Existence*. Translated by Manya Harari, The Harvill Press Ltd., London, 1954.
6. Gabriel Marcel. *Being and Having*. Trans. by Katharine Farrer, Westminster: Dacre Press, 1949.
7. Chris Osegenwune ‘Gabriel Marcel's Existentialist Ethics and the Search for the Meaning of Life’. *Nnamdi Azikiwe Journal of Philosophy*. Volume 10, No 1 (without the year of publication).
8. Marcel, G. *The Philosophy of Existentialism*. Trans. by Manya Harari, New York: Carol Publishing Group, 1995.
9. Gabriel Marcel. *Theory of Religious Experience*, Peter Lang Inc., New York, 1995.
10. Martin Heidegger. *Lettre sur L’humanisme*. Trad. Roger, Aubier, Éditions Montaigne, Paris, 1964.
11. Robert, François. *Impression Bussere*, France, 1990.
12. Régis Jolivet. *Les Courants de la Philosophie Actuelle: L’existentialisme de Kierkegaard à Sartre*. Trad. Fawad Kamel, Dar Al-Adab, Beirut.
13. Chris Osegenwune. “Gabriel Marcel’s Existentialist Ethics and the Search for the Meaning of Life.” *Nnamdi Azikiwe Journal of Philosophy*, Vol. 10, No. 1, p. 96–97.
14. Francis Chigozie Ofoeghu. “The Broken World: A Reflection on Gabriel Marcel’s Philosophy.” *AMAMHE: Journal of Applied Philosophy*, Vol. 21, No. 2, 2023, p. 27.
15. Dr. S. John Kaviarasul, V. Michaelammal, A. Amala Arokia Raj. “The Existential Analysis of Hope in the

Philosophy of Gabriel Marcel.” Journal of Social Review and Development, 2022, 1(2): 37–41.

16. S. Arul Kulandai Theresa. “Being Human in the Perspectives of Gabriel Marcel and Its Relevance Today.” International Journal of Creative Research Thoughts (IJCRT), Vol. 11, Issue 2, Feb. 2023, pp. 748–750.
17. Elodie Malbois. “Gabriel Marcel: Intersubjectivity as Reciprocal Availability.” In Phenomenological Approaches to Intersubjectivity and Values, Cambridge Scholars Publishing, 2019.

سادسًا: المواقع الإلكترونية

1. Stanford Encyclopedia of Philosophy. Gabriel (Honoré) Marcel Biographical Sketch.
<https://plato.stanford.edu/entries/marcel/biogsket>

2. صحيفة المتقف. أحمد حامد، "الوجودية عند جابرييل مارسيل"، نُشر في 15 أغسطس 2017. <https://almo> [thaqaf.com](https://almo)

الملخص

ملخص الدراسة

تناولت هذه الدراسة بالتحليل والتأويل مشروع غابرييل مارسيل الوجودي، وسعت إلى الكشف عن الأبعاد الإنسانية والأخلاقية والدينية لفلسفة الوجود كما تصورها. انطلقت الدراسة من الإشكالية المركزية المتمثلة في: "كيف يمكن فهم الوجود الإنساني في فلسفة مارسيل في ظل التوتر بين الذات والآخر، وبين المادة والروح، وبين القلق والأمل؟" وقد تم تحليل فكر مارسيل ضمن ثلاثة فصول رئيسية تناولت الخلفية الفلسفية لمشروعه، ومفهوم الوجود الإنساني، وأبعاد العلو التي اقترحها كأفق للارتقاء الإنساني.

كشفت الدراسة عن خصوصية فلسفة مارسيل باعتبارها تجربة وجودية روحية، تقوم على مفاهيم مركزية مثل: السر، الأمل، المحبة، المشاركة، والإيمان. وبيّنت كيف أن مارسيل يمثل تياراً متميزاً عن غيره من الفلاسفة الوجوديين الإلحاديين كسارتر ونييتشه، من خلال إعلائه لقيمة العلاقة بالآخر والانفتاح على المتعالي.

الكلمات المفتاحية:

الوجود الإنساني، الفلسفة الوجودية، العلاقة مع الآخر، التأمل الوجودي

Abstract

This research explored Gabriel Marcel's existential philosophy as a unique spiritual and phenomenological approach to understanding human existence. The central aim was to investigate how Marcel conceptualizes human being through the dynamic of transcendence, participation, and hope against the backdrop of a fragmented, dehumanized modern world. While existentialist thinkers such as Sartre and Nietzsche emphasized absurdity, alienation, and atheism, Marcel offered an alternative rooted in Christian existentialism, underscoring the sacred, interpersonal, and moral dimensions of life.

Key words : Human existence, Existential philosophy, Relationship with the Other, Existential reflection